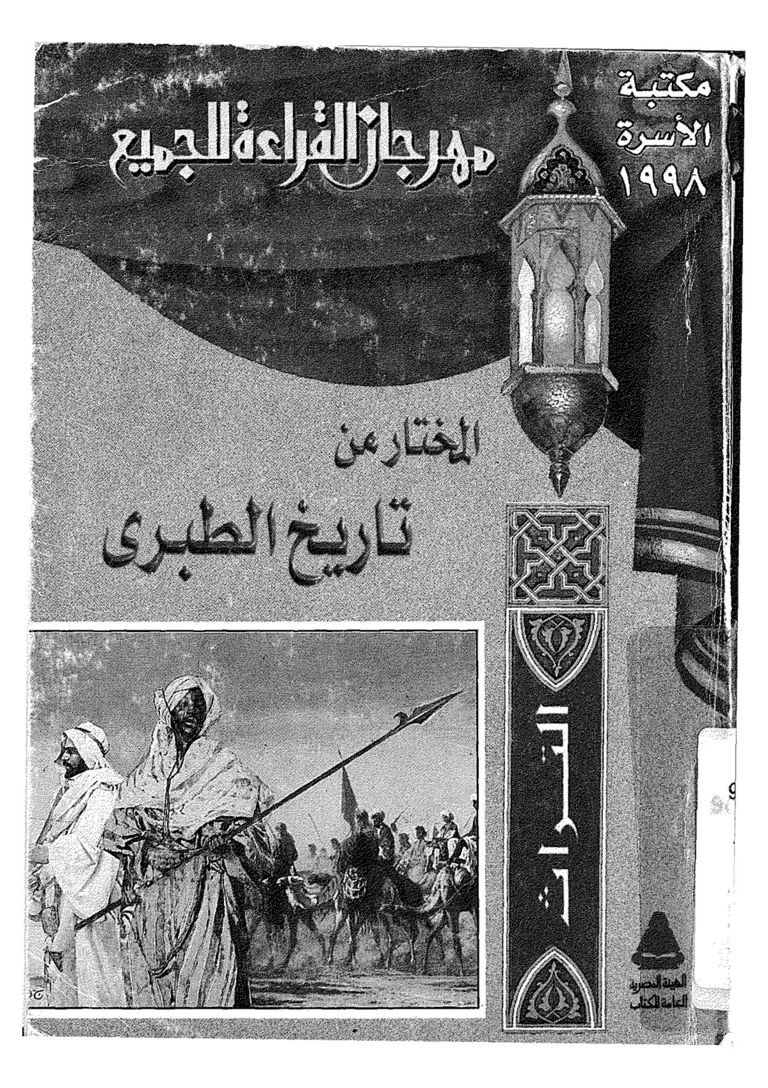
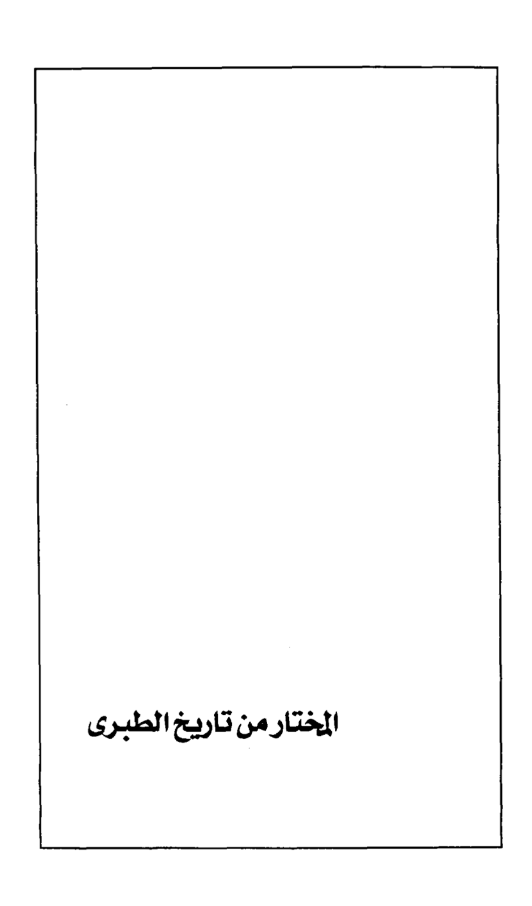

مكتبة
الأسرة
١٩٩٨
مهرجان القراءة للجميع
المختار من
تاريخ الطبرى
الهيئة المصرية
العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

الأستاذ/ الحسينى آمين حنتيره

الإسكندرية



المختار من تاريخ الطبرى

المختار من
تاريخ الطبري



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة التراث)

المختار من تاريخ الطبرى
إعداد : د. سمير سرحان
د. محمد عنانى

الغلاف:
للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

تصديـــر

تركـز هذه المقتطفـات من تاريخ الطبـرى ، والذى يشار إليـه أحياناً باسم **تاريخ الرسل والملوك** (وأحياناً أخرى باسم **تاريخ الأمم والملوك**) على الفتنة المـعروفة بثـورة الزنج ، والتى حمل لواءها دعى آل على ، خارجـاً على الخلفاء ، وانضم إليـه الشواذ من العـبـيـد والزنـوج والأتراك ، ودارت حـوادثهـا فى الأهواز والبصرة والأُبلّة وبغداد ، واستمرت أكثر من أربعة عشر عاماً ، إذ بدأت بخروج الداعية فى رمضان عام ٢٥٥ هـ ، وانتهت بمقتله فى صـفر عام ٢٧٠ هـ ، وهو يروى تفاصيلها بدقـة وإسهاب ، أولاً لأنه كان معاصراً لوقائعـها شاهداً لبعض هذه الوقائع ، وثانياً لأنه رأى فيـها من الغرابة ما هو جـدير بالتسجيل ، وإن كـان نادراً ما يعلق على الأحداث ، فهو يلتزم الموضوعية فى الرواية التاريخية ، كشأنه فى سـائر كتابه ، إذ يورد الروايات وينسبها إلى أصـحابها ، وإذا كان الخبـر غير مؤكد نصّ علـى ذلك وأشار إليه ، والحق أن اقتطاف أى جـانب من جوانب الكتاب خارج سـياقه أمر عـسير ، ولذلك إلتزمت مكتبة الأسرة هذا العام بتقديم مـقتطفات مستفيضة ولم تحذف إلا ما لا يصب فى صلب القصة الرئيسية لفتنة الزنج.

ويسعد مكتبة الأسـرة أن تقدم هذا النموذج الفريد من الكتابة التاريخيـة القائمة على الحولـيات ، فالطبرى يسجـل أحداث زمانه هنا عاماً بعام ، واستفاضـته فى رواية التفاصيل تجعل هذا الكتاب من المراجع الأساسـية فى مـوضوعه ، وهو لا يقـتصـر على ذكر المواقع الحربيـة بصفة عامـة بل يقدم تفاصـيل القتال وأساليـبه ، ويتـعمق فى وصـف الدوافع لدى الجانبـين ، حتى تعـتـبرروايتـه التاريخية مرجعاً أيضاً لمن يريد مـعرفة وسائل الحرب والقتال والجو العام الذى ساد تلك الفترة الحافلة من فترات التاريخ الإسلامى .

وقد اعتمدنـا هنا على النسخة التى حققها الأستـاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ونشـرها منذ أكثر من ثلاثين عامـاً ومازال تمثل النص المعتـمد لكتاب الطبـرى العظيم . وأملنا أن يجد الباحـثون والكتاب فـيما يرويه الطبـرى مصدر إلهـام لأعمال فنيـة جديدة ، على نحو ما ألمح إلى ذلك طه حسين .

والله الموفق .

مكتبة الأسرة

الفهرس

القصيدة	الصفحة

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الأول

خروج أول علوىّ بالبصرة

وللنصف من شوّال من هذه السنة ، ظهر فى فُرات البصرة رجل زعم أنه علىّ بن محمد بن أحمد بن علىّ بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب ، وجمع إليه الزَّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخَ، ثم عبر دِجلة ، فنزل الدِّينارىّ .

ذكر الخبر عن أمره والسبب الذى بعثه على الخروج هنالك :

وكان اسمه ونسبه - فيما ذُكر - علىّ بن محمد بن عبد الرحيم ، ونسبُه فى عبد القَيْس ، وأمه قرّة ابنة علىّ بن رحيب بن محمد بن حكيم، من بنى أسد بن خزيمة ، من ساكنى قرية من قرى الرّى ، يقال لها وَرْزَنين ، بها مولده ومنشؤه ؛ فذُكر عنه أنه كان يقول : جدّى محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن عليّ بن الحسين . فلما قُتل زيد هرب فلحق بالرّىّ ، فلجأ إلى وَرْزَنين، فأقام بها . وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجلٌ من عبد القيس ، كان مولده بالطالقان ، وأنه قدم العراق فأقام بها ، واشترى جارية سنديّة ، فأولدها محمداً أباه ؛ فهو علىّ بن محمد هذا ، وأنه كان متصلاً قبل بجماعة من آل المنتصر ؛ منهم غانم الشطرنجىّ وسعيد الصغير ويسُر الخادم؛ وكان منهم معاشه ومن قوم من أصحاب السلطان وكتّابه ، يمدحهم ويستميحهم بشعره .

ثم إنه شخص - فيما ذُكر - من سامراً سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين ، فادّعى بها أنه علىّ بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علىّ بن أبى طالب ، ودعا الناس بهجر إلى طاعته، واتّبعه جماعة كثيرة من أهلها ، وأبته جماعة أخَر ؛ فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أَبُوهُ عصبية قُتلت بينهم جماعة ، فانتقل عنهم لما حدث ذلك إلى الأحساء ؛ وضوى إلى حىّ من بنى تميم ثم من بنى سعد، يقال لهم بنو الشّماس ؛ فكان بينهم مقامه . وقد كان أهل البحرين أحلُّوه من أنفسهم محلّ النبىّ - فيما ذكر - حتى جُبِىَ له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم ، وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتَر منهم جماعة كثيرة ، فتنكّروا له ، فتحوّل عنهم إلى البادية .

ولما انتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين ، منهم رجل كيّال من أهل الأحْسَاء ، يقال له يحيى بن محمد الأزرق المعروف بالبَحْرانىّ ، مولى لبنى دارم ويحيى بن أبى ثعلب ، وكان تاجراً من أهل هَجَر ، وبعضُ موالى بنى حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع ؛ وهو قائد جيشه ، ثم كان ينتقل فى البادية من حىّ إلى حىّ .

فذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى ظاهرة للناس ؛ منها - فيما ذكر عنه - أنه قال : إنى لُقِّيتُ سُوَرًا من القرآن لا أحفظها ، فجرى بها لسانى فى ساعة واحدة ، منها سبحان والكهف وص . قال : ومن ذلك أنى لقيت نفسى على فراشى ، فجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له ، وأجعل مقامى به ؛ إذ نَبَتْ بى البادية،

وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلّتنى سحابة ، فبرقت ورعدت ، واتّصل صوت الرّعد منها بسمعى ، فخُوطبتُ فيه ، فقيل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابى وهم يكنُفوننى إنى أمِرت بصوت هذا الرّعد بالمصير إلى البصرة.

وذكر أنه عند مصيره إلى البادية أوْهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، فاختدع بذلك قومًا منهم ؛ حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة ، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الرّدْم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة ، كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه ، قُتلوا فيها قتلاً ذريعًا ، فنفرت عنه العرب وكرهتُه ، وتجنّبت صحبته . فلما تفرّقت عنه العرب ، ونبت به البادية ، شخص عنها إلى البصرة ، فنزل بها فى بنى ضُبيعة ، فاتبّعه بها جماعة ؛ منهم علىّ بن أبان المعروف بالمهلبىّ وأخواه محمد والخليل وغيرهم . وكان قدومه البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين ، ومحمد بن رجاء الحضارىّ عامل السلطان بها ، ووافق ذلك فتنةُ أهل البصرة بالبلالية والسعدية ، فطمع فى أحد الفريقين أن يميل إليه ، فأمر أربعة نفر من أصحابه ، فخرجوا بمسجد عبّاد، أحدهم يسمى محمد بن سلْم القصاب الهجرىّ ، والآخر بُرَيش القُرَيعىّ ، والثالث علىّ الضرّاب ، والرابع الحسين الصيدنانىّ ، وهم الذين كانوا صحبوه بالبحرين ، فدعوْا إليه ، فلم يجبه من أهل البلد أحد، وثاب إليهم الجند ، فتفرّقوا ولم يظفر بأحد منهم . فخرج من البصرة هاربًا ، فطلبه ابن رجاء فلم يقدِرْ عليه ، وأخْبر ابن رجاء بميل

جماعة من أهل البصرة إليه . فأخذهم فحبسهم ؛ فكان فيمن حبس يحيى بن أبى ثعلب ومحمد بن الحسن الأيادىّ وابن صاحب الزّنّج علىّ بن محمد الأكبر وزوجتُه أمّ ابنه ومعها ابنة له وجارية حامل ، فحبسهم ومضى هو لوجهه يريد بغداد ومعه من أصحابه محمد بن سلمْ ويحيى بن محمد وسليمان ابن جامع وبُريش القريعىّ . فلما صاروا بالبَطيحة نذِر بهم بعض موالى الباهليّين . كان يلى أمر البَطيحة ، يقال له عُمَير بن عمار ، فأخذهم وحَملهم إلى محمد بن أبى عَوْن ، وهو عامل السلطان بواسط ، فاحتال لابن أبى عَوْن حتى تخلّص هو وأصحابه من يده ، ثم صار إلى مدينة السلام ، فأقام بها حَوْلاً ، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد ؛ وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات ، وعرف ما فى ضمائر أصحابه ، وما يفعله كلّ واحد منهم ؛ وأنه سأل ربّه بها آيةً أن يعلم حقيقة أمره ، فرأى كتابًا يُكتب له ، وهو ينظر إليه على حائط، ولا يرى شخص كاتبه .

وذكر عن بعض تُبّاعه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعةً ، منهم جعفر بن محمد الصُّوحانىّ - كان ينتسب إلى زيد من صُوحانَ - ومحمد ابن القاسم وغلاما يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان : مشرق ورفيق ؛ فسمىّ مشرقًا حمزة وكنّاه أبا أحمد ، وسمّى رفيقاً جعفرًا وكناه أبا الفضل. ثم لم يزل عامه ذلك بمدينة السلام حتى عُزِل محمد بن رجاء عن البصرة ، فخرج عنها ، فوثب رؤساء الفتنة من البلاليّة والسعدية ، ففتحوا المحابس ، وأطلقوا مَنْ كان فيها ؛ فتخلّصوا فيمن تخلّص . فلما

بلغه خـلاصُ أهله . شخص إلى البصرة ، فكان رجـوعه إليها فـى شهر رمضـان سنة خمس وخمسين ومـائتين ، ومعه عليّ بن أبان - وقـد كان لحق به وهو بمدينة السـلام - ويحـيى بن محـمد ، ومـحمـد بن سلم ، وسليمـان بن جامع ، وغلاما يحيـى بن عبد الرحمن : مـشرق ورفيق ؛ وكان يحضر هؤلاء الستـة رجلٌ من الجند يكنى أبا يعقوب ، ولقّب نفسه بعد ذلـك بجُرْبان ، فسـاروا جميـعًا حتى وافـواْ برنخل ، فنزلوا قـصراً هنالك يعرف بقصـر القرشيّ ، على نهر يعرف بعـمود ابن المنجم ؛ كان بنو مـوسى بن المنجم احتـقروه ، وأظهـر أنه وكـيل لولد الواثق فى بيع السباخ ، وأمر أصحابه أن يَنْحلوه ذلك ، فأقام هنالك .

فذُكـر عن ريحان بن صالح أحد غلمـان الشُّورَجيّين - وهو أوّل من صحبه منهم - أنه قال : كنت موكلاً بغلمان مولاى ، أنقل الدقيق إليهم من البصـرة ، وأفرّقـه فيهم ، فـحملت ذلك إليـهم كمـا كنت أفعل ، فمـررت به وهو مقيم ببـرنخل فى قصر القـرشيّ ، فأخذنى أصـحابُه ، فصاروا بى إليه ، وأمرونى بالتسليم عليه بالإمْرة ، ففعلت ذلك ، فسألنى عن الموضع الذى جئتُ منه ، فأخبرته أن أقبلت من البصرة : فقال : هل سمعتَ لنا بالبصرة خبراً ؟ قلت : لا ، قال : فما خبر الزينبى ؟ قلت : لا علم لى به ، قـال : فخـبر الـبلاليّة والسـعديّة ؟ قلت : ولا أعـرف أخبـارهم أيضاً ، فسـألنى عن أخبـار غلمان الشُّورجيّين ومـا يجرى لكلّ غلام منهم من الدقيق والسوِيق والتمر وعمّن يعمل فى الشورج من الأحرار والعبيد ، فأعلمته ذلك ، فدعانى إلـى ما هو عليه ، فأجبته ، فقال لى :

إحتَلْ فيمن قدرت عليه من الغلمان ، فأقبلْ بهم إليّ . ووعدنى أن يقوّدنى على من آتيه به منهم ، وأن يحسن إليّ ، واستحلفنى ألاّ أعلم أحداً بموضعه ، وأن أرجع إليه . فخلّى سبيلى ، فأتيت بالدقيق الذى معى الموضع الذى كنت قصدته به ، أقمت عنده يومى ، ثم رجعت إليه من غد ، فوافيته وقد قدم عليه رفيق غلام يحيى بن عبد الرحمن ، وكان وُجِّه إلى البصرة في حوائج من حوائجه ، ووافاه بشبل بن سالم - وكان من غلمان الدبّاسين - وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء ؛ فكتب فيها بحمرة وخضرة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] ، إلى آخر الآية ، وكتب اسمه واسم أبيه ، وعلّقها في رأسي مُرْدِىّ[2] ، وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان .

فلما صار إلى مؤخّر القصر الذى كان فيه ، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار ، متوجهين إلى أعمالهم ، فأمر بأخذهم فأخذوا ، وكُتِف وكيلهم ، وأخذ معهم ، وكانوا خمسين غلاماً ، ثم صار إلى الموضع الذى يعمل فيه السّنائىّ ، فأخذ منه خمسمائة غلام ، فيهم المعروف بأبى حُدَيد ، وأمر بوكيلهم فأخذ معهم مكتوفاً ، وكانوا فى نهر يعرف بنهر المكاثر ، ثم مضى إلى موضع السيرافىّ ، فأخذ منه خمسين ومائة غلام ، فيهم زُرَيق وأبو الخنجر ، ثم صار إلى موضع ابن

---

(١) سورة التوبة : آية رقم ١١١ .

(٢) المُرْدِىّ : خشبة يدفع بها الملاح السفينة .

عطاء ، فأخذ طريقًا وصبيحاً الأعسر وراشداً المغربيّ وراشداً القرماطيّ ، وأخذ معهم ثمانين غلاماً ، ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سَهْل الطحان ، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه ، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيّين ، ثم جمعهم وقام فيهم خطيباً ، فمنّاهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ، ويملكهم الأموال ، وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم ، ولا يخذلهم ، ولا يدع شيئاً من الإحسان إلا أتى إليهم . ثم دعا مواليهم ، فقال : قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم ، وفعلتم بهم ما حرّم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وجعلتم عليهم ما لا يُطيقون ، فكلمني أصحابي فيكم ، فرأيت إطلاقكم ، فقالوا : إنّ هؤلاء الغلمان أُبّاق ، وهم يهربون منك فلا يُبقون عليك ولا علينا ، فخذ منّا مالاً وأطلقهم لنا ، فأمر غلمانهم فأحضروا شَطْبًا[1] ثم بَطَح كلَّ قوم مولاهم ووكيلهم ، فضرب كلّ رجل منهم خمسمائة شَطْبة ، وأحلفهم بطلاق نسائهم ألا يُعلموا أحداً بموضعه ، ولا بعدد أصحابه ، وأطلقهم ، فمضوا نحو البصرة .

ومضى رجل منهم يقال له عبد الله ، ويعرف بكريخا ، حتى عبر دُجَيْلاً ، فأنذر الشورجيّين ليحرزوا غلمانهم ، وكان هناك خمسة عشر ألف غلام !!

(١) الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل ، واحده شطبة .

ثم سار بعد ما صلىّ العصر حتى وافى دُجيَلا ، فوجد سفن سَمَاد تدخل فى المدّ ، فقدّمها ، فركب فيها ، وركب أصحابُه حتى عبروا دُجيَلا ، وصاروا إلى نهر ميمون ، فنزل المسجد الذى فى وسط السوق الشارع على نهر ميمون ، وأقام هناك . ولم يزل ذلك دأبه ، يجتمع إليه السودان إلى يوم الفِطْر . فلما أصبح نادى فى أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا ، وركز المردىّ الذى عليه لواؤه ، وصلىّ بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملّكهم العبيد والأموال والمنازل، ويبلغ بهم أعلَى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك ، فلما فرغ من صلاته وخطبته ، أمر الذين فهموا عنه قولَه أن يُفهِموه من لا فهم له من عجمهم ، لتطيب بذلك أنفسُهم ، ففعلوا ذلك ، ودخل القصر . فلمّا كان بعد يوم قصد نهر بور ، فوافى جماعة من أصحابه هناك الحميرىّ فى جماعة ، فدفعوهم حتى أخرجوهم إلى الصحراء ، فلحقهم صاحب الزّنج فيمن معه ، فأوقع بالحميرىّ وأصحابه ، فانهزموا حتى صاروا إلى بطن دِجلة . واستأمن إليه رجل من رؤساء الزّنج يكنى بأبى صالِح ، يعرَف بالقصير ، فى ثلثمائة من الزّنج ، فمنّاهم ووعدهم .

فلما كثر مَن اجتمع إليه من الزّنج قوّد قواده ، وقال لهم : كلّ مَنْ أتى منكم برجل فهو مضموم إليه . وقيل إنه لم يقوّد قوّادَه إلا بعد مواقعة الخَوَل ببيَان ومصيره إلى سَبخة القَنْدَل .

وكان ابنُ أبى عَون[1] نقل عن ولاية واسط إلى ولاية الأُبُلّة وكُور دِجلة ، فذُكِر أنه انتهى إليه في اليوم الذى قوّد قوّاده أن الحميرىّ وعَقيلاً مع خليفة ابن أبى عون المقيم كان بالأُبُلّة ، قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا نهر طين ، فأمر أصحابه بالمصير إلى الرزيقية وهى في مؤخّر الباذَاوْرد ، فصار إليها فى وقت صلاة الظهر ، فصلوا بها ، واستعدُّوا للقتال ، وليس فى عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف : سيفُه ، وسيف علىّ بن أبان ، وسيف محمد بن سلم ، ونهض بأصحابه فيما بين الظهر والعصر راجعاً نحو المحمديّة ، وجعل على بن أبان فى آخر أصحابه ، وأمره أن يعرف خبر مَنْ يأتيه من ورائه ، وتقدّم فى أوائل الناس حتى وافى المحمدّية ، فقعد علي النهر ، وأمر الناس فشربوا منه ، وتَوافَى إليه أصحابُه ، فقال له علىّ بن أبان : قد كنا نرى من ورائنا بارقةً ونسمع حسّ قوم يتبعوننا ، فلسنا ندرى : أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا ؟ فلم يستتمّ كلامه حتى لحق القوم ، وتنادى الزنج السلاح ، فبدر مفرّج النوبىّ المكنى بأبى صالح، وريحان ابن صالح ، وفتح الحجام - وكان فَتْح يأكل - فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه ، وتقدّم أصحابه ، فلقيه رجل من الشورجيّين ، يقال له بلبل ، فلمّا رآه فَتْح حمل عليه وحذَفه بالطبق الذى كان في يده ، فرمى بلبل بسلاحِه ، وولّى هاربًا ، وانهزم أصحابه ، وكانوا أربعة آلاف رجل ، فذهبوا على وجوههم ، وقُتِل مَنْ قُتل منهم ، ومات بعضهم عطشًا ، وأسِرَ منهم قوم ، فأُتِيَ بهم صاحب الزّنج . فأمر

(١) هو محمد بن أبى عون .

بضرب أعناقهم فضربت ، وحملت الرءوس على بغال كبان أخذها من الشورجيين ، كانت تنقل الشورج ، ومضى حتى وافى القادسية ، وذلك وقت المغرب ، فخرج من القرية رجل من موالى بعض الهاشميين على أصحابه ، فقتل رجلاً من السودان ، فأتاه الخبر ، فقال له أصحابه : ائذن لنا فى إنتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا ، فقال : لا سبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم ، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم ، ونسألهم أن يدفعوه إلينا ، فإن فعلوا وإلا ساغ لنا قتالهم .

وأعجلهم المسير ، فصاروا إلى نهر ميمون راجعين ، فأقام فى المسجد الذى كان أقام فيه فى بدأته وأمر بالرءوس المحمولة معه فنصبت ، وأمر بالأذان أبا صالح النوبى فأذن ، وسلم عليه بالإمرة ، فقام فصلى بأصحابه العشاء الآخرة ، وبات ليلته بها ، ثم مضى من الغد حتى مر بالكرخ فطواها ، وأتى قرية تعرف بجبى فى وقت صلاة الظهر ، فعبر دجيلا من مخاضة دل عليها ، ولم يدخل القرية ، وأقام خارجاً منها ، وأرسل إلى من فيها : فأتاه كبراؤهم وكبراء أهل الكرخ ، فأمرهم بإقامة الأنزال له ولأصحابه فأقيم له ما أراد ، وبات عندهم ليلته تلك ، فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جبى فرساً كميتاً ، فلم يجد سرجاً ولا لجاماً ، فركبه بحبل وسنفه[1] بليف ، وسار حتى انتهى إلى المعروف بالعباسى العتيق ، فأخذ منه دليلاً إلى السيب ، وهو نهر القرية المعروفة بالجعفرية ، ونذر به

---

(١) سنفه : شده بالسناف ، والسناف : حبل يشد من التصدير إلى اخلف الكركرة ؛ حتى يثبت التصدير .

أهل القرية ، فهربوا عنها ، ودخلها فنزله دار جعفر بن سليمان وهى فى السوق ، وتفرّق أصحابه فى القرية ، فأتوه برجل وجدوه ، فسأله عن وكلاء الهاشميّين ، فأخبره أنهم فى الأجمة ، فوجّه الملقب بجُرْبان ، فأتاه برئيسهم ، وهو يحيى بن يحيى المعروف بالزبيرىّ أحد موالى الزياديّين ، فسأله عن المال ، فقال : لا مال عندى ، فأمر بضرب عنقه ، فلما خاف القتل أقرّ بشىء قد كان أخفاه ، فوجّه معه ، فأتاه بمائتى دينار وخمسين ديناراً وألف درهم ، فكان هذا أول ما صار إليه ، ثم سأله عن دوابّ وُكلاء الهاشميّين فدلّه على ثلاثة براذين : كُميت ، وأشقر ، وأشهب ؛ فدفع أحدها إلى ابن سلْم ، والآخر إلى يحيى بن محمد ، وأعطى مُشرقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن الثالث .

وكان رفيق يركب بغلاً كان يحمل عليه الثَّقَل ، ووجد بعض السودان داراً لبعض بنى هاشم فيها سلاح ، فانتهبوه ، فجاء النوبىّ الصغير بسيف ، فأخذه صاحب الزَّنج ، فدفعه إلى يحيى بن محمد ، فصار فى أيدى الزَّنج سيوفٌ وبالات ، وزقايات وتراس ، وبات ليلته تلك بالسَّيب ، فلما أصبح أتاه الخبر أنّ رُميساً والحميرىّ وعقيلاً الأُبلىّ قد وافوا السَّيب ، فوجّه يحيى بن محمد فى خمسمائة رجل ، فيهم سليمان وريحان ابن صالح وأبو صالح[1] النوبىّ الصغير ، فلقوا القوم فهزموهم ، وأخذوا سُمَيْرِيّة[2] وسلاحاً ، وهرب مَنْ كان هنالك ، ورجع يحيى بن

---

(١) هو أبو صالح القصير ، واسمه مفرج .

(٢) السميرية : نوع من السفن النهرية .

محمد فأخبره الخبر ، فأقام يومه ، وسار من غد يريد المذَار ، بعد أن اتّخذ على أهل الجعفرية ألاّ يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً ، ولا يستُروا عنه . فلما عبر السّيب صار إلى قرية تعرف بقرية اليهود شارعة على دِجْلة ، فوافق هناك رُمَيْسًا فى جَمْع ، فلم يزل يقاتلهم يومه ذلك ، وأسرَ من أصحابه عِدةً ، وعقر منهم جماعة بالنُّشاب ، وقتِل غلام لمحمد بن أبى عون كان مع رُمَيس ، وغرقت سميرّية كان فيها ملاحُها ، فأُخِذ وضربت عنقه ، وسار من ذلك الموضع يريد المذَار ، فلمّا صار إلى النهر المعروف بباب مداد جاوزه حتى أصحر ، فرأى بُستانًا ، وتلاً يعرف بجبل الشياطين ، فقصد للتلّ فقعد عليه ، وأثبت أصحابه فى الصحراء ، وجعل لنفسه طليعة .

فذُكر عن شبل أنه قال : أنا كنت طليعته على دِجْلة ، فأرسلت إليه أخبره أن رُميسًا بشاطىء دِجْلة يطلب رجُلاً يؤدّى عنه رسالة ، فوجّه إليه علىّ بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع ، فلما أتوْه قال لهم : اقرءوا على صاحبكم السلام ، وقولوا له : أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض ؛ لا يعرض لك أحدٌ ، واردد هؤلاء العبيد على مواليهم ، وآخذ لك عن كلّ رأس خمسة دنانير . فأتوْه فأعلموه ما قال لهم رُميس ، فغضب من ذلك وآلى ليرجعنّ فليبقرنّ بطن امرأة رُميس ، وليحرقنّ داره ، وليخوضنّ الدماء هنالك ، فانصرفوا إليه ، فأجابوه بما أمِرُوا به ، فانصرف إلى مقابل الموضع الذى هو به من دِجْلة ، فأقام به ، فوافاه فى ذلك اليوم إبراهيم بن جعفر المعروف بالهمدانىّ ؛ ولم يكن لحق

به إلا فى ذلك الوقت ، وأتاه بكتب فقرأها ، فلما صلى العشاء الآخرة ، أتاه إبراهيم : فقال له : ليس الرّأى لك إتيان المذار ، قال : فما الرأى ؟ قال : ترجع ، فقد بايع لك أهل عبّادان وميّان رُوذان وسليمانان ، وخلّفت جمعاً من البلالية بفوّهة القَنْدل وأبرسان ينتظرونك . فلمّا سمع السودان ذلك من قول إبراهيم مع ما كان رُمَيس عَرَض عليه فى ذلك اليوم خافوا أن يكونّ احتال عليهم ليردّهم إلى مواليهم ، فهرب بعضُهم ، واضطرب الباقون . فجاءه محمد بن سلْم فأعلمه اضطرابَهم ، وهرَب مَنْ هرب منهم ، فأمر بجمعهم فى ليلته تلك ، ودعا مصلحاً ، وميز الزّنج من الفراتية . ثم أمر مصلحًا أن يعلمهم أنه لا يردّهم ولا أحداً منهم إلى مواليهم ، وحلف لهم على ذلك بالأيمان الغِلاظ ، وقال : لِيَحُطْ بى منكم جماعة ، فإن أحسّوا منى غدراً فتكُوا بى . ثم جمع الباقين ؛ وهم الفراتيّة والقرماطيّون والنوبة وغيرهم ممن يفصح بلسان العرب ، فحلف لهم على مثل ذلك ، وضمن ووثّق من نفسه ، وأعلمهم أنه لم يخرج لعَرَض من أعراض الدنيا ، وما خرج إلا غضبًا لله ، ولمّا رأى ما عليه الناس من الفساد فى الدين ، وقال : ها أنا ذا معكم فى كلّ حرب ، أشرككم فيها بيدى ، وأخاطر معكم فيها بنفسى . فرضوا ودعواْ له بخير. فلمّا أسحر أمر غلامًا من الشورجيّين يكنى أبا مَنارة ، فنفخ فى بوق لهم كانوا يجتمعون بصوته ، وسار حتى أتى السِّيب راجعًا ، فالفَى هناك الحميرىّ ورُمَيْسًا وصاحب ابن أبى عون ، فوجّه إليهم مشرقاً برسالة أخفاها ، فرجع إليه بجوابها ، فصار صاحب الزّنج إلى النهر ، فتقدم

صاحب محمد بن أبي عون ، فسلم عليه ، وقال له : لم يكن جزاء صاحبنا منك أن تفسد عليه عمله ، وقد كان منه إليك ما قد علمت بواسط . فقال : لم آت لقتالكم ، فقل لأصحابك يوسعون لي في الطريق حتى أجاوزكم .

فخرج من النهر إلى دجلة ، ولم يلبث أن جاء الجند ومعهم أهل الجعفرية في السلاح الشاك ، فتقدم المكتنى بأبى يعقوب المعروف بجربان ، فقال لهم : يا أهل الجعفرية ، أما علمتم ما أعطيتمونا من الأيمان المغلظة ألا تقاتلونا ، ولا تعينوا علينا أحداً ، وأن تعينونا متى اجتاز بكم أحد منا ! فارتفعت أصواتهم بالنعير والضجيج ، ورموه بالحجارة والنشاب . وكان هناك موضع فيه زهاء ثلثمائة زورق ، فأمر بأخذها فأخذت ، وقرن بعضها ببعض حتى صارت كالشاشات ، وطرحت إلى الماء ، وركبها المقاتلة فلحقوا القوم ، فقال بعضهم : عبر على بن أبان يومئذ قبل أخذ الزواريق سباحة ، ثم جمعت الزواريق ، وعبر الزنج ، وقد زالوا عن شاطئ النهر فوضعوا فيهم السيف ، فقتل منهم خلق كثير ، وأتى منهم بأسرى ، فوبخهم وخلى سبيلهم ، ووجه غلاماً من غلمان الشورجيين يقال له سالم يعرف بالزغاوى ، إلى من كان دخل الجعفرية من أصحابه ، فردهم ، ونادى : ألا برئت الذمة ممن انتهب شيئاً من هذه القرية ، أو سبى منها أحداً ، فمن فعل ذلك فقد حلت به العقوبة الموجعة .

ثم عبر من غربيّ السّيب إلى شرقيّه ، واجتمع أصحابه الرؤساء حتى إذا جاوز القرية بمقدار غلوة سمع النعير من ورائه في بطن النهر ، فتراجع الزّنج ، فإذا رُميس والحميريّ وصاحب ابن أبي عون قد وافوه لما بلغهم حال أهل الجعفريّة . فألقى السودان أنفسهم عليهم ، فأخذوا منهم أربع سُمَيْرِيَّات بملاّحيها ومقاتليها ، فأخرجوا السميريّات بمن فيها ، ودعا بالمقاتلة فسألهم ، فأخبروه أن رُميساً وصاحب ابن أبي عون لم يدعاهم حتى حملاهم على المصير إليه ، وأنّ أهل القرى حرّضوا رُميساً وضمنوا له ولصاحب ابن أبي عون مالاً جليلاً ، وضمن له الشورجيّون على ردّ غلمانهم ؛ لكلّ غلام خمسة دنانير ، فسألهم عن الغلام المعروف بالنميريّ المأسور والمعروف بالحجّام ، فقالوا : أما النميريّ فأسير في أيديهم ، وأما الحجام فإن أهل الناحية ذكروا أنه كان يتلصص في ناحيتهم ، ويسفك الدماء ، فضُربت عنقه ، وصُلب على نهر أبي الأسد . فلما عرف خبرهم أمر بضرب أعناقهم ، فضربت إلا رجلاً يقال له محمد بن الحسن البغداديّ ، فإنه حلف له أنه جاء في الأمان ، لم يُشْهِر عليه سيفاً ، ولا نصب له حرباً ، فأطلقه . وحمل الرءوس والأعلام على البغال ، وأمر بإحراق سفنهم فأحرقت .

وسار حتى أتى نهر فريد ، فانتهى إلى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضي وعليه مسناة تعترض بين الجعفرية ورُستاق القُفص ، فجاءه قوم من أهل القرية من بني عجل ، فعرضوا عليه أنفسهم ، وبذلوا له ما لديهم ، فجزاهم خيراً ، وأمر بترك العرض لهم .

وسار حتى أتى نهراً يعرف ببافثا ، فنزل خارجاً من القرية التى على النهر وهى قـرية تشرع على دُجيـل ، فأتاه أهل الكرخ ، فسلّمـوا عليه ، ودعَوْا له بخير ، وأمدُّوه من الأنزال بما أراد . وجاءه رجل يهوديّ خيبريّ يقال له مـاندويه فقبّل يده . وسـجَد له - زعم - شكراً لرؤيته إيّاه ، ثم سأله عن مسائل كثيرة ، فأجابه عنـها ، فزعم أنه يجدُ صفته فى التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله عن علامـات فى بدنه ذكر أنه عرفها فيه ، فأقام معه ليلَته تلك يحادثه .

وكان إذا نزل اعتـزل عسكره بأصحابه الستـة ، ولم يكن يومئذ يُنكر النبيذ على أحـد من أصحابه ، وكان يتقدّم إلى محـمد بن سلْم فى حفظ عـسكره ؛ فلمـا كـان فـى تلك الليلة أتاه فى آخـر اللـيل رجلٌ من أهل الكَرْخ، فأعلمه أن رُمَيْسًا وأهل المفتح والقرى التى تتصل بها وَعقيلاً وأهل الأبُلّة قد أتوه ومعهم الدّبيلا بالسـلاح الشاك ، وأنّ الحميرىّ فى جمع من أهل الفُرات وقد صاروا فى تلـك الليلة إلى قنطرة نهر ميمـون ، فقطعوها ليمنعوه العبور . فلمّا أصبح أمر ، فصيح بالزّنج ، فعبروا دُجيلا ، وأخذ فى مؤخّر الكرخ حتى وافى نهر ميمون ، فوجد القنطرة مقطوعة ، والناس فى شرقى النّهـر والسُّمَيْريّات فى بطنه ، والدبَيلا فـى السُّمْيريّات ، وأهل القرى فى الجريبـيّات والمجونحات ؛ فأمر أصحـابه بالإمساك عنهم ، وأن يرحلوا عن النهر توقّيًا للنُّشاب ، ورجع فقـعد على مائة ذراع من القرية ؛ فلمّا لم يروا أحداً يقاتلهم خـرج منهم قوم ليعرفوا الخبـر ، وقد كان أمر جماعـة من أصحابه ، فأتوا القرية ، فكَمَنُوا فـيها مخفين لأشـخاصهم ؛

فلما أحسوا خروج مَنْ خرج منهم ، شدّوا عليهم ، فأسروا اثنين وعشرين رجلاً ، وسعـوا نحو الباقين ، فقـتلوا منهم جماعة على شـاطىء النهر ، ورجعوا إليه بالرءوس والأسرى ، فأمر بضرب أعناقهم بعد مناظرة جرتْ بينه وبينهم ، وأمر بالإحـتفاظ الرءوس ، وأقـام إلى نصف النهار ؛ وهو يسمع أصـواتهم ، فأتاه رجل من أهل الـبادية مسـتأمنًا ، فـسأله عن غَوْر النهر ، فـأعلمه أنه يعـرف موضعـاً منه يُخاض ، وأعلمـه أن القوم على معاودته بَجَمْعـهم يقاتلونه ، فنهض مع الرَّجل حتى أتى به مـوضعًا على مقدار مِيل من المحمّدية ، فخـاض النهر بين يديه ، وخاض الناس خلفه ، وحمله ناصح المـعروف بالرملىّ ، وعبـر بالدوابّ ؛ فلما صـار فى شرقىّ النهر كـرّ راجعًا نحو نهر مـيمون ؛ حـتى أتى المسجد فنزل فيـه ، وأمر بالرءوس فنُصبِت ، وأقـام يومه ، وانحدر جـيش رُميس بجمـعه فى بطن دُجيل ، فـأقاموا بموضع يعرف بأقـشَى بإزاء النهر المعروف بَبرد الخـيار ، ووجّه طليعة فرجع إليه ، فأخبره بمقام القوم هناك ، فوجّه من ساعته ألفَ رجل ، فأقاموا بسبَخـة هناك على فُوّهة هذا النهر ، وقال لهم : إن أتوْكم إلى المغرب ؛ وإلاّ فأعلمونى ، وكتب كتاباً إلى عَقيل ، يذكره فيه أنه قد بايعـه فى جـمـاعـة من أهل الأبُلّة ، وكـتب إلى رُمَيس يذكّره حِلفـه له بالسَّيب أنه لا يقاتله ؛ وأنـه يُنهِى أخبارَ السلطان إليـه ، ووجّ بالكتابين إليهما مع بعض الأكرة بعد أن أحلفه أن يوصلهما .

وسار من نهـر ميمون يريد السَّبَخَة التى كـان هيّأ فيها طليـعةً ؛ فلمّا صار إلى القادسـية والشيِّفيَا ، سمع هناك نعيـراً ، ورأى رميًا ؛ وكان إذا

سار يتنكب القرى ، فلم يدخلها ، وأمر محمد بن سَلْم أن يصير إلى الشِّيفيا في جماعة ، فيسأل أهلها أن يُسلموا إليه قاتل الرجل من أصحابه في ممرّه كان بهم ، فرجع إليه ، فأخبره أنهم زعموا أنَّه لا طاقة لهم بذلك الرّجل لولائه من الهاشميين ومنعهم له ؛ فصاح بالغلمان ، وأمرهم بانتهاب القريتين ، فانتهب منهما مالاً عظيماً ؛ عينًا وورِقًا وجوهرًا وحُليًا وأواني ذهب وفضة ، وسبى منهما يومئذ غلمانًا ونسوة ؛ وذلك أول ُسبْي سُبِيَ ، ووقفوا على دار فيها أربعة عشر غلاماً من غلمان الشورج ، قد سُدَّ عليهم باب ؛ فأخذهم ولَبىَ بمولى الهاشميين القاتل صاحبه فأمر محمد بن سلم بضرب عنقه ، ففعل ذلك ، وخرج من القريتين في وقت العصر ، فنزل السَّبَخة المعروفة ببرَد الخيار .

فلما كان في وقت المغرب أتاه أحد أصحابه الستّة ، فأعلمه أنّ أصحابه ، قد شغلوا بخمور وأنبذة وجدوها في القادسيّة ؛ فصار ومعه محمد بن سلم ويحيى بن محمد إليهم . فأعلمهم أنّ ذلك مما لا يجوز لهم ، وحرّم النبيذ في ذلك اليوم عليهم ، وقال لهم : إنكم تلاقون جيوشًا تقاتلونهم ، فدعوا شُرْب النبيذ والتشاغل به ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فلما أصبح جاءه غلام من السودان ، يقال له قاقويه ، فأخبره أن أصحاب رُمَيس قد صاروا إلى شرقي دُجيل ، وخرجوا إلى الشط ؛ فدعا علي بن أبان ، فقدم إليه أن يمضي بالزنج ، فيوقع بهم ؛ ودعا مشترقًا ، فأخذ منه إصطرلابًا ، فقاس به الشمس ، ونظر في الوقت ، ثم عبر وعبر الناس خلفه القنطرة التي على النهر المعروف ببرد الخيار ؛ فلما صاروا في

شرقيّه ، فلاحق الناس بعليّ بن أبان ؛ فوجدوا أصحاب رُميس وأصحاب عَقيل على الشطّ ، والدَّبيلا في السفن يرمون بالنُّشاب ؛ فحملوا عليهم فقتلوا منه مقتلة عظيمة ، وهبّتْ ريح من هربيّ دُجيل ، فحملت السفن فأدنتها من الشطّ ؛ فنزل السودان إليها ، فقتلوا مَنْ وجدوا فيها ، وانحاز رُميس ومَنْ كان معه إلى نهر الدير على طريق الفشى ، وترك سفنه لم يحرّكها ليظنّ أنه مقيم ، وخرج عَقيل وصاحب ابن أبي عون إلى دِجْلة مبادرين ، لا يلويان على شيء .

وأمر صاحب الزَّنج بإخراج ما في السفن التي فيها الدَّبيلا ؛ وكانت مقرونًا بعضها ببعض ، فنزل فيها قاقويه ليفتّشها ، فوجد رجلاً من الدَّبيلا ، فحاول إخراجَه فامتنع عليه ، وأهوى إليه بُسرتَى كان معه ؛ فضربه ضربة على ساعده فقطع بها عِرقًا من عروقه ، وضربه ضربةً على رجله ، فقطعتْ عصبةً من عصبه ، وأهوى له قاقويه ، فضربه ضربةً على هامته فسقط ، فأخذ بشعره ، واحتزّ رأسه ؛ فأتي به صاحب الزّنج ، فأمر له بدينار خفيف ، وأمر يحيى بن محمد أن يقوِّدَه على مائة من السودان . ثم سار صاحب الزَّنج إلى قرية تعرف بالمهلبيّ تقابل قيَّاران ، ورجع السودان الذين كانوا اتبّعوا عَقيلاً وخليفة ابن أبي عون ، وقد أخذ سُميريّة فيها ملاحان ، فسألهم عن الخبر ، فقالوا : تبّعناهم فطرحوا أنفسهم إلى الشطّ ، وتركوا هذه السميريّة ، فجئنا بها . فسأل الملاحيْن ، فأخبراه أن عقيلاً حملهما على أتباعه قهراً ، وحبس نساءهما حتى اتبّعاه ، وفعل ذلك بجميع مَنْ تبعه من الملاحين ؛ فسألهما عن سبب مجيء

الدّبيلا ، فقالا : إنّ عقيلاً وعدهم مالا ؛ فتبعوه ؛ فسألهما عن السفن الواقعة بأقشى ، فقالا : هذه سفن رُميس وقد تركها ، وهرب في أوّل النهار ، فرجع حتى إذا حاذاها أمر السودان فعبروا ، فأتوه بها ؛ فانهبهم ما كان فيها ، وأمر بها فأحرِقت ، ثم صار إلى القرية المعروفة بالمهلّبيّة واسمها تنغت ، فنزل قريبًا منها ، وأمر بإنتهابها وإحراقها ؛ فانتُهبتْ وأحرقت ، وسار على نهر الماديان ، فوجد فيها تمورًا ، فأمر بإحراقها .

وكان لصاحب الزّنج بعد ذلك أمور من عيْشه هو وأصحابه في تلك الناحية تركنا ذكرها ، إذ لم تكن عظيمة ؛ وإن كان كلّ أموره كانت عظيمة .

❁ ❁ ❁

الفصل الثانى
أول مصادمة مع جيش السلطان

ثم كان من عظيم ما كان له من الوقائع مع أصحاب السلطان وقعة كانت مع رجل من الأتراك يكنى أبا هلال فى سوق الرّيان ؛ ذكر عن قائد من قوّاده يقال له ريحان ، أن هذا التركىّ وافاهم في هذا السوق ، ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أو يزيدون ، وفى مقدّمته قوم عليهم ثياب مُشهرة وأعلام وطبول ، وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة ، وأنّ بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضربه بخشبتين كانتا معه فى يده فصرعه، وانهزم القوم ، وتلاحق السودان ، فقتلوا من أصحاب أبى هلال زُهاء ألف وخمسمائة . وإن بعضهم آتبع أبا هلال ففاته بنفسه على دابة عُرْى ، وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل ؛ وأنه لما أصبَحَ أمر يتتبعهم ، ففعلوا ذلك فجاءوا بأسرى ورءوس ، فقتل الأسرى كلهم . ثُمَّ كانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة مع أصحاب السلطان ؛ هزمهم فيها، وظفر بهم ، وكان مبتدأ الأمر فى ذلك - فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له ريحان - أنه قال : لما كان فى بعض الليل من ليالى هذه السنة التى ذكرنا أنه ظهر فيها ، سمع نباح كلب فى أبواب تعرف بعمرو بن مسعدة ، فأمر بتعرّف الموضع الذى يأتى منه النّباح ، فوجّه لذلك رجلاً من أصحابه ، ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئاً ؛ وعاد النباح . قال ريحان : فدعانى ، فقال لى : صر إلى موضع هذا الكلب

النابح ؛ فإنه إنما نَبَح شخصًا يراه ، فصرتُ فإذا أنا بالكلب على المسنّاة ، ولم أر شيئًا ، فأشرفتُ فإذا أنا برجل قاعد فى درجات هنالك ، فكلّمتُه، فلما سمعنى أفصحُ بالعربيّة كلمّني ، فقال : أنا سَيْران بن عفو الله ، أتيتُ صاحبكم بكتب من شيعته بالبصْرة ، وكان سيْران هذا أحدَ مَنْ صحب صاحب الزّنج أيام مُقامه بالبصرة ، فأخذته فأتيته به ، فقرأ الكتب التى كانت معه ، وسأله عن الزينبىّ وعن عدّة مَنْ كان معه ، فقال : إن الزّينبىّ قد أعدّ لك الخَوَل والمطّوعة والبلالية والسعدية ؛ وهم خلق كثير ، وهو على لقائك بهم ببَيَان . فقال له : اخفِض صوتَك ، لئلا يرتاع الغلمان بخبرك . وسأله عن الذى يقود هذا الجيش ، فقال : قد نُدب لذلك المعروف بأبى منصور ، وهو أحد موالى الهاشميّين : قال له : أفرأيتَ جمعَهم ؟ قال : نعم ؛ وقد أعدُّوا الشُّرُط لكتف من ظفروا به من السودان ، فأمره بالإنصراف إلى الموضع الذى يكون فيه مُقامه ، فانصرف سيران إلى علىّ بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد ، فجعل يحدّثهم إلى أن أسْفَر الصبح ، ثم سار صاحب الزَّنج إلى أن أشرف عليهم . فلما انتهى إلى مؤخَّر تُرْسىَ وبرسونا وسنداداان بيَان ، عرض له قوم يريدون قتاله ، فأمر علىّ بن أبان فأتاهم فهزمهم ، وكان معهم مائة أسود ، فظفر بهم . قال ريحان : فسمعته يقول لأصحابه : من أمارات تمام أمركم ما ترونْ من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلّمونهم إليكم ؛ فيزيد الله فى عددكم . ثم سار حتى صار إلى بيَان .

قال ريحان : فوجّهنى وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان وعسكرهم فى طرف النخل فى الجانب الغربىّ من بيان ، فوجهْنا إلى الموضع الذى أمرنا بالمصير إليه ، فألفينا هناك ألفاً وتسعمائة سفينة ، ومعها قوم من المطوّعة قد احتبسوها ، فلما رأوْنا خلَّوْا عن السفن ، وعبروا سُلبان عَرايا ماضين نحو جُوبك . وسقْنا السفن حتى وافيناه بها ، فلما أتيناه بها أمر فَبُسِط له على نشز من الأرض وقعد ، وكان فى السفن قوم حجّاج أرادوا سلوك طريق البصرة ؛ فناظرهم بقيّة يومه إلى وقت غروب الشمس ، فجعلوا يصدقونه فى جميع قوله ، وقالوا : لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك ، فردّهم إلى سفُنهم ، فلما أصبحوا أخرجهم ، فأحلفهم ألاّ يخبروا أحداً بعدّة أصحابه ، وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه . وعرضوا عليه بساطًا كان معهم ، فأبدله ببساط كان معه ، واستحلفهم أنه لا مال للسلطان معهم ولا تجارة ، فقالوا : معنا رجل من أصحاب السلطان ، فأمر بإحضاره ، فأحضر ، فحلف الرَّجل أنه ليس من أصحاب السلطان ، وأنه رجل معه نُقْل أراد به البصرة ، فأحضر صاحب السفينة التى وُجد فيها ، فحلف له أنه إنما اتّجر فيه ، فحمله فخلى سبيله، وأطلق الحجاج فذهبوا ، وشرع أهل سليمانان على بيان بإزائه فى شرقىّ النهر ؛ فكلمهم أصحابُه وكان فيهم حسين الصيدنانىّ الذى كان صحبه بالبصرة ؛ وهو أحد الأربعة الذين ظهروا بمسجد عبّاد ، فلحق به يومئذ ، فقال له ، لِمَ أبطأتَ عنى إلى هذه الغاية ؟ قال : كنتُ مختفيًا ، فلما خرج هذا الجيش دخلتُ فى سواده . قال : فأخبِرْنى عن هذا الجيش ، ما

هم ؟ وما عـدّة أصحابه ؟ قال : خـرج من الحَوَل بحضرتى ألف ومـائتا مقاتل ، ومن أصحاب الزينبىّ ألف ، ومن البلاليّة والسعديّة زهاء ألفين، والفرسان مائتا فارس . ولما صاروا بالأُبُلّة وقع بينهم وبينَ أهلها اختلاف؛ حتى تـلاعنوا ، وشتم الحَوَلُ مـحمد بن أبى عـون ، وخلفتُهم بـشاطىء عثمان وأحـسبهم مصبّحيك فى غـد . قال : فكيف يريدون أن يفعلوا إذا أتونا ؟ قال : هم على إدخال الخـيل من سنداذان بَيان ، ويأتيك رجّالتهم من جنبتى النهر .

فلما أصبح وجّه طليعةً ليعرف الخبر ، واختاره شيخًا ضعيفًا زمِنًا لئلا يُعرض له ؛ فلم يرجع إليه طليعتُه ، فلمّا أبطأ عنه وجّه فتحًا الحجام ومعه ثلثمائة رجل ، ووجّه يحيى بن محمد إلى سنداذان ، وأمره أن يخرج فى سوق بَيَان ، فـجاءه فَتْح فأخبـره أن القوم مقبـلون إليه فى جمع كثـير ، وأنهم قد أخذُوا جنبـتى النَّهر ؛ فسأل عن المدّ ، فـقيل : لم يأتِ بعدُ ، فقـال : لم تدخِل خيلُهم بعد ، وأمـر محمـد بن سَلْم وعلىّ بن أبان أن يقعدا لهم فى النخل ، وقعـد هو على جَبل مشرف عليهم ؛ فلم يلبث أن طلعت الأعـلام والرّجال حـتى صاروا إلى الأرض المعـروفة بأبى العـلاء البلخىّ ؛ وهى عطفـة على دُبَيران ؛ فأمـر الزّنج فكبَّروا ثم حملوا عـليهم فوافوا بهم دبيران ، ثم حمل الحَوَل يقـدُمهم أبو العباس بن أيمن المعروف بأبى الكباش وبشـير القيسىّ ، فـتراجع الزَّنج حتى بلغـوا الجبل الذى هو عليه ، ثم رجـعوا عليهم ، فثـبتوا لهم ، وحمل أبـــو الكباش علـــى فَتْح الحجـــام فقـتله ، وأدرك غلامـاً يقال له دينار من الـسودان فـضربَه

ضربات ، ثم حمل السودان عليهم ، فوافَوْا بهم شاطىء بيان ، وأخذتهم السيوف .

قال ريحان : فعهدِى بمحمد بن سلم وقد ضرب أبا الكباش ، فألقى نفسه فى الطين ، فلحقه بعضُ الزّنج ، فاحتزّ رأسه . وأما علىّ بن أبان؛ فإنّه كان ينتحل قتل أبى الكباش وبشير القيسىّ ، وكان يتحدّث عن ذلك اليوم فيقول : كان أوّل مَنْ لقينى بشير القيسىّ ، فضربنى وضربتُه ، فوقعتْ ضربته في تُرسى ، ووقعت ضربتى فى صدره وبطنه ؛ فانتظمتْ جوانح صدره ، وفريتُ بطنَه ، وسقط فأتيته ، فاحتززتُ رأسه . ولقينى أبو الكباش ، فشُغِل بى ، وأتاه بعضُ السودان من ورائه فضربه بعصًا كانت فى يده على ساقيه ؛ فكسرهما فسقط ، فأتيتُه ولا امتناع به ، فقتلته واحتززتُ رأسه ؛ فأتيت بالرأسين صاحب الزّنج .

قال محمد بن الحسن بن سهل : سمعت صاحبَ الزّنج يخبر أن عليًا أتاه برأس أبى الكباش ورأس بشير القيسىّ - قال : ولا أعرفهما - فقال : كان هذان يقدمان القوم ، فقتلتهما فانهزم أصحابهما لمّا رأوا مصرعهما .

قال ريحان - فيما ذكر عنه : وانهزم الناس فذهبوا كلّ مذهب ، واتّبعهم السودان إلى نهر بَيَان ، وقد جَزَر[1] النهر ، فلما وافوه انغمسوا فى الوحْل ، فقتِل أكثرهم . قال : وجعل السودان يمرّون بصاحبِهم دينار

(١) الجزر : ضد المد .

الأسود الذى كان أبو الكباش ضربه ، وهو جريح ملقى ، فيحسبونه من الخَوَل فيضربونه بالمناجل حتى أثخِن ، ومرّ به من عرفه ، فحمل إلى صاحب الزّنج ، فأر بمداواة كلومه .

قال ريحان : فلما صار القوم إلى فُوّهه نهر بيان ، وغرق مَنْ غرق ، وأخذت السفن التى كانت فيها الدوابّ ، إذا ملوّح يلوّح من سفينة ، فأتيناه فقال : ادخلوا النهر المعروف بشريكان ، فإنّ لهم كمينًا هناك ، فدخل يحيى بن محمد وعلىّ بن أبان ، فأخذ يحيى فى غربىّ النهر ، وسلك علىّ بن أبان فى شرقيّة ، فإذا كمين فى زهاء ألف من المغاربة ، ومعهم حسين الصَّيْدانىّ أسيرًا قال : فلمّا رأوْنا شدّوا على الحسين ، فقطّعوه قطعًا ، ثم أقبلوا إلينا ، ومدّوا رماحَهم ، فقاتلوا إلى صلاة الظهر، ثم أكَبّ السودان عليهم فقتلوهم أجمعين ، وحَوَوا سلاحهم ؛ ورجع السودان إلى عسكرهم ؛ فوجدوا صاحبهم قاعدًا على شاطىء بيان، وقد أتِىَ بنيّف وثلاثين عَلَمًا وزهاء ألف رأس ، فيها رءوس أنجاد الخَوَل وأبطالهم ؛ ولم يلبث أن أتوْه بزهير يومئذ .

قال ريحان : فلم أعرفه ، فأتى يحيى وهو بين يديْه ، فعرفه فقال لى: هذا زهير الخَوَل ؛ فما استبقاؤك إياه ! فأمر به فضُربت عنقه . أقام صاحب الزنج يومه وليلته . فلما أصبح وجّه طليعة إلى شاطىء دِجْلة ، فأتاه طليعته ، فأعلمه أن بدجلة شَذاتَين[1] لاصقتين بالجزيرة ، والجزيرة يومئذ على فوّهة القَنْدَل ، فردّ الطليعة بعد العصر إلى دِجلة ليعرف الخبر ؛ فلمّا كان وقت المغرب أتاه المعروف بأبى العباس خال ابنه الأكبر ،

(١) الشذا : ضرب من السفن ، الواحدة شذاة والجمع شذوات (عن اللسان) .

ومعه رجل من الجند يقال له عمران ، وهو زَوْج أم أبي العباس هذا ، لهما أصحابه ، ودعا بهما ؛ فأدّى إليه عمران رسالة ابن أبى عون ، وسأله أن يعبر بياناً ليفارق عمله ، وأعلمه أنه قد نحّى الشذَا عن طريقه ؛ فأمر بأخذ السفن التى تخترق بَيَاناً من جُبّى ، فصار أصحابه إلى الحجر ، فوجدوا فى سُلبان مائتى سفينة ، فيها أعدال دقيق ، فأُخذَتْ ، ووُجد فيها أكسية وبرّكانات ، وفيها عشرة من الزَّنْج ، وأمر الناس بركوب السفن ، فلما جاء المد - وذلك فى وقت المغرب - عبر وعبر أصحابه حيال فُوّهة القندل ، واشتدّت الريح ، فانقطع عنه من أصحابه المكنّى بأبى دلف ، وكان معه السفن التى فيها الدقيق ، فلمّا أصبح وافاه أبو دلف فأخبره أن الرّيح حملته إلى حسك عِمْران ، وأن أهل القرية همُّوا به ، وبما كان معه، فدفعهم عن ذلك . وأتاه من السودان خمسون رجلاً ، فسار عند موافاة السفن والسودان إياه حتى دخل القَنْدل ، فصار إلى قرية للمَعلّى بن أيوب ، فنزلها ، وأنبثّ أصحابه إلى دُبّا ، فوجدوا هناك ثلثمائة رجل من الزَّنْج ، فأتوهُ بهم ، ووجدوا وكيلاً للمعلّى بن أيوب ، فطالبه بمال ، فقال : اعبُرْ إلى برسان ،فـآتيكَ بالمال ، فأطلقه ، فذهب ولم يَعُد إليه ، فلما أبطأ عليه أمر بإنتهاب القرية فانتُهبت .

قال ريحان - فيما ذكر عنه : فلقد رأيتُ صاحب الزَّنج يومئذ ينتهب معنا ، ولقد وقعتْ يدى ويده على جبّة صوف مُضرّبة ؛ فصار بعضها فى يده وبعضها فى يدى ، وجعل يجاذبنى عليها حتى تركتُها له . ثم سار حتى صار إلى مسلحة الزينبىّ على شاطىء القَنْدَل فى غربىّ النهر ، فثبت

له القوم الذين كانوا في المسلحة ؛ وهم يرون أنهم يطيقونه ، فعجزوا عنه؛ فقتلوا أجمعين ؛ وكانوا زُهاء مائتين ، وبات ليلته في القَصْر ، ثم غدا في وقت المدّ قاصداً إلى سَبَخة القَنْدل ، واكتنف أصحابه حافتى النهر، حتى وافوا مُنْذُران ، فدخل أصحابُه القرية فانتهبوها ، ووجدوا فيها جمعاً من الزَّنج ، فأتوه بهم ، ففرّقهم على قوّاده ، ثم صار إلى مؤخّر القَنْدل ، فأدخل السفن النهر المعروف بالحَسَنىّ النافذ إلى النهر المعروف بالصالحىّ ؛ وهو نهر يؤدىّ إلى دُبًّا ، فأقام بسبَخة هناك .

فذكر عن بعض أصحابه أنه قال : ها هنا قوّد القوّاد ، وأنكر أن يكون قوّد قبل ذلك . ونفرّق أصحابُه في الأنهار حتى صاروا إلى مربّعة دُبًّا ، فوجدوا رجلاً من التمّارين من أهل كلاّء البصرة ، يقال له محمد ابن جعفر المُريدىّ ، فأتوه به ، فسلّم عليه وعرفه ، وسأله عن البلاليّة ، فقال : إنما أتيتُك برسالتهم ، فلقينى السودان ، فأتوك بى ، وهم يسألونك شروطاً إذا أعطيتَهم إياها سمعوا لك وأطاعوا ، فأعطاه ما سأل لهم ، وضمن القيام له بأمرهم ؛ حتى يصيروا في حيّزه ، ثم خلىّ سبيله، ووجّه معه مَنْ صيّره إلى الفيّاض ، ورجع عنه ، فأقام أربعة أيام ينتظره ، فلم يأته ، فسار في اليوم الخامس وقد سرّح السفن التى كانت معه في النهر ، وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له الدّاوُردانىّ والنهر المعروف بالحسَنىّ والنهر المعروف بالصالحى ، فلم يتعدّ حتى رأى خيلاً مقبلة من نحو نهر الأمير زهاء ستمائة فارس ، فأسرع أصحابُه إلى النهر الدّاوردانىّ ، وكان الخيل في غربيّه ، فكلّموهم طويلاً ، وإذا هم

قوم من الأعـراب فيهم عنتـرة بن حجنا وثمال ، فـوجّه إليهم محـمد بن سلم، فكلّم ثمالا وعنترة ، وسألا عن صاحب الزَّنج ، فقال : ها هو ذا، فقـال : نريد كلامَه ، فأتاه فأخـبره بقولهـما ، وقال له : لو كلّمتَهـما ! فزجره ، وقال : إنّ هذا مكيدة ، وأمر السـودان بقتالهم ، فعَبرُوا النهر ، فعـدلت الخيل عن السودان ، ورفـعوا علمًا أسـود ، وظهر سليمـان أخو الزينبىّ - وكان معهم - ورجع أصحاب صاحب الزَّنج ، وانصرف القوم، فقال لمحمد بن سلم : ألم أعلمك أنهم إنما أرادوا كيدَنا !

وسار حتى صار إلى دُبّا ، وانبثّ أصحابه فى النخل ، فجاءوا بالغنم والبقر ، فـجعلوا يذبحون ويأكلون ، وأقام ليلتـه هناك ؛ فلمّا أصبح سار حتى دخل الأرخنج المعروف بالمطهّرىّ ، وهو أرخنج ينفـذ إلى نهر الأمير المقابل للفـيّاض من جانبيه ، فـوجدوا هناك شهاب بن العـلاء العنبرىّ ، ومعه قوم من الخَول ، فأوقعوا به ، وأفلت شهاب فى نُفَير ممن كان معه ، وقُتِل من أصحابه جـماعة ، ولحق شهاب بالمـنصف من الفيّاض ، ووجد أصـحاب صـاحب الزّنج ستـمائة غـلام من غلمـان الشورجـيّين هناك ، فأخذوهم ، وقتلوا وكلاءهم ، وأتوه بهم ، ومـضى حتى انتهى إلى قصر يعرف بالجوهرىّ على السَّبَخـة المعروفة بالبرامكة ، فأقام فـيه ليلَته تلك ؛ ثم سار حـيث أصبح حـتى وافى السَّبخة التى تُشـرَع على النهـر المعروف بالدينارىّ ، ومؤّخرها يُفـضى إلى النهر المعروف بالمحدث ، فـأقام بها ، وجمع أصحـابه ، وأمرهم ألا يعجّلوا بالذهاب إلى البصـرة حتى يأمرهم وتفرّق أصحابُه فى إنتهاب كلّ ما وجدوا ، وبات هناك ليلته تلك .

الفصل الثالث

ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزنوجه وجيوشه فيها إلى البصرة

ذكر أنه سار من السَّبخَة التى تشرع على النهر المعروف بالدينارىّ ، ومؤخرّها يفضِى إلى النهر المعروف بالحدث ، بعد ما جمع أصحابه يريد البصرة ؛ حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحىّ أتاه قوم من السودان ، فأعلموه أنهم رأوا فى الرياحىّ بارقةً ، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى تنادى الزَّنج السلاح ، فأمر علىّ بن أبان بالعُبور إليهم ، وكان القوم فى شرقىّ النهر المعروف بالدينارىّ ، فعبَر فى زهاء ثلاثة آلاف ، وحبّس صاحب الزَّنج عنده أصحابه ، وقال لعلىّ : إن احتجتَ إلى مزيد فى الرّجال فاستمدّنى . فلما مضى ، صاح الزّنج : السلاح ! لحركة رأوْها من غير الجهة التى صار إليها علىّ ، فسأل عن الخبر ، فأخبِر أنه قد أتاه قوم من ناحية القرية الشارعة على نهر حرْب المعروفة بالجعفرّية ، فوجّه محمد بن سلْم إلى تلك الناحية .

فذكر عن صاحبه المعروف بريحان ، أنه قال : كنتُ فيمن توجّه مع محمد ، وذلك فى وقت صلاة الظهر ، فوافينا القومَ بالجعفريّة ، فنَشب القتال بيننا وبينهم إلى آخر وقت العصر ، ثم حمل السودان عليهم حملةً صادقة ، فولّوْا منهزِمين وقُتِل من الجند والأعراب وأهل البصرة البلالية

والسعـدية خمسمـائة رجل ، وكان فتْح المعـروف بغلام أبى شيث مـعهم يومئذ ، فولىّ هـاربًا ، فاتبّعه فيروز الكبير ؛ فلمّا رآه جـادًا فى طلبه رماه ببيضة كانت على رأسـه ؛ فلم يرجع عنه ؛ فرماه بترسه فلم يرجع عنه ، فرماه بتنّور حديد كان عليه فلم يرجع عنه ؛ ووافى به نهر حرّب ، فألقى فتحٌ نفسه فيه ، فأفلت ورجع فيْروز ، ومعه ما كان فتح ألقاه من سلاحه؛ حتى أتى به صاحب الزَّنج .

قال مـحمد بن الحسن : قـال شِبْل : حُكِى لنا أنّ فتحًا طفَر يومـئذ نهـرَ حرب ، قـال : فحـدّثت هذا الحـديث الفضل بن عـدّىّ الدارمىّ ، فقال: أنا يومئذ مع السعـديّة ، ولم يكن على فتح تنُّور حديد ، وما كان عليه إلا صُدْرة حرير صفراء ، ولقد قاتل يومئذ حتى لم يبق أحد يقاتل ، وأتى نهر حرب ، فوثبه حـتى صار إلى الجانب الغربىّ منه . ولم يُعرف ما حكى ريحان من خبر فيروز .

قال : وقال ريحان : لقيتُ فيـروز قبل إنتهائه إلى صاحب الزَّنج ، فاقتص علـىّ قصتّه وقصّة فَتْح ، وأرانى السلاح . وأقـبل الزّنج على أخذ الأسلاب ، وأخذتُ على النهـر المعروف بالدّينارىّ ؛ فإذا أنا برجل تحت نخلة عليه قلنسوة خزّ ، وخُفّ أحمر ودرّاعة ، فـأخذتُه فأرانى كتبًا معه ، وقال لى : هذه كتبٌ لقوم من أهل البصـرة ، وجهّونى بها ، فألقيت فى عنقه عمـامة ، وقدته إليه ، وأعلمتـه خبره ، فسأله عن اسمـه فقال : أنا محمد بن عبد الله ، وأكنَى بأبى الليث ، من أهل أصبهان ؛ وإنما أتيتُك راغبًا فى صـحبتك ، فقـبِله ، ولم يلبث أن سمع تكبيـراً ؛ فإذا علىّ بن أبان قد وافاه ومعه رأسُ البلالىّ المعروف بأبى الليث القواريرىّ .

قال : وقال شِبْل : الذى قتل أبا الليث القواريرىّ وصيف المعروف بالزّهرىّ وهو من مذكورى البلاليّة ، ورأس المعروف بعبْدان الكسبىّ ، وكان له فى البلاليّة صوت فى رءوس جماعة منهم ، فسأله عن الخبر فأخبره أنه لم يكن فيمن قاتله أشدّ قتالاً من هذين - يعنى أبا الليث وعبدان - وأنه هزمهم حتى ألقاهم فى نهر نافذ ؛ وكانت معهم شذاة فغرّقها ، ثم جاءه محمد بن سلمْ ومعه رجل من البلالية أسيرًا أسره شِبْل يقال له محمد الأزرق القواريرىّ ، ومعه رءوس كثيرة ، فدعا الأسير فسأله عن أصحاب هذين الجيشين ، فقال له : أما الذين كانوا فى الرياحىّ فإنّ قائدهم كان أبا منصور الزينبىّ ، وأما الذين كانوا مما يلِى نهر حرب ، فإن قائدهم كان سليمان أخا الزينبى من ورائهم مُصْحرًا ، فسأله عن عددهم فقال له : لا أحصيهم ، إلاّ أنى أعلم أنهم كثير عددهم . فأطلق محمد القواريرىّ ، وضمه إلى شِبْل ، وسار حتى وافى سَبَخة الجعفرية ، فأقام ليلتَه بين القتلى ؛ فلما أصبح جمع أصحابه فحذّرهم أن يدخل أحد منهم البصرة ، وسار فتسرّع منهم أنكلويه وزُريق وأبو الخَنْجر - ولم يكن قُوِّد يومئذ - وسليم ووصيف الكوفىّ . فوافَوا النهر المعروف بالشاذانى ، وأتاهم أهل البصرة ، وكَثَروا عليهم ؛ وانتهى الخبر إليه ، فوجّه محمد بن سلْم وعلىّ بن أبان ومشرقاً غلام يحيى فى خلق كثير ، وجاء هو يسايرهم ؛ ومعه السفن التى فيها الدوابّ المحمولة ونساء الغلمان حتى أقام بقنطرة نهر كثير .

قال ريحان : فأتيته وقد رُميت بحجر ، فأصاب ساقى ، فسألنى عن الخبر فأخبرته أنّ الحرب قائمة ، فأمرنى بالرّجوع ، وأقبل معى حتى أشرف على نهر السيابجة . ثم قال لى : امض إلى أصحابنا ، فقل لهم يستأخروا عنهم ، فقلت له : ابعد عن هذا الموضع فإنى لست آمنُ عليك الخَول . فتنحّى ، ومضيت فأخبرت القوّاد بما أمر به ، فتراجعوا ، وأكبّ أهل البصرة عليهم ، وكانت هزيمة وذلك عند العصر ، ووقع الناس فى النهرين : نهر كثير ونهر شَيْطان ، فجعل يهتف بهم ويردّهم فلا يرجعون، وغرق جماعة من أصحابه فى نهر كثير ، وقتِل منهم جماعة على شطّ النهر وفى الشاذانىّ ؛ فكان ممن غرق يومئذ من قوّاده أبو الجون ومبارك البحرانىّ وعطاء البربىّ وسلام الشأمىّ ، ولحقه غلام أبى شيث وحارث القَيْسىّ وسُحيل ، فَعَلَوْا القنطرة ، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتى صاروا إلى الأرض ، وهو يومئذ فى دُرّاعة وعمامة ونعل وسيف ، وتُرسه فى يده ؛ ونزل عن القنطرة وصعدها البصريون يطلبونه ، فرجع فقتل منهم بيده رجلاً على خمس مراق من القنطرة ، وجعل يهتف بأصحابه ويعرّفهم مكانه ، ولم يكن بقى معه فى ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشَوْك ومصلح ورفيق غلام يحيى .

قال ريحان : فكنت مع فرجع ؛ حتى صار إلى المعلّى ، فنزل فى غربىّ نهر شيطان .

قال محمد بن الحسن : فسمعتُ صاحب الزَّنج يحدّث ، قال : لقد رأيتُنى فى بعض نهار هذا اليوم؛ وقد ضللت عن أصحابى ، وضلّوا عنى،

فلم يبق معى إلا مـصلح ورفيق ، وفى رِجْلى نعل سندىّ ، وعلىّ عمـامة قد انحلّ كُور منها فأنا أسحبـها من ورائى ، ويعجلنى المشىُ عن رفعها ، ومعى سيفى وتُرسِي ، وأسرع مـصلح ورفيق فى المشى وقصّرتُ ، فغابا عنى ، ورأيت فى أثرى رجلين من أهل البصرة ، فى يد أحـدهما سيف، وفى يد الآخر حجارة ، فلما رأيانى عَرَفـانى ، فجداّ فى طلبى ، فرجعت إليهمـا ، فانصرفا عنى ، ومـضيتُ حتى خرجت إلى الموضـع الذى فيه مجمع أصحابى؛ وكانوا قد تحيَّروا لفقدى؛ فلما رأوْى سكنوا إلى رؤيتى .

قال ريحان : فرجع بأصحابه إلى موضع يعرف بالمعلّى فى غربىّ نهر شيطان ، فنزل به ، وسأل عن الرّجال ؛ فإذا قد هرب كثير منهم ، ونظر فإذا هو من جـميع أصحابـه فى مقدار خمـسمائة رجل ، فـأمر بالنفخ فى البوق الذى كانوا يجتمعون لصوته ، فلم يرجع إليه أحد ، وبات ليلته ، فلمـا كان فى بعض الـليل جاء الملقب بجُرْبـان ، وقد كـان هرب فيـمن هرب، ومعه ثلاثون غلاماً فسأله : أين كـانت غيبته ؟ فقال : ذهبت إلى الزّوارقة طليعةً .

قـال ريحان : ووجّهنى لأتعـرّف له مَنْ فى قنطرة نهـر حَرْب ، فلم أجد هناك أحداً ، وقد كـان أهل البصرة انتهبُوا السفن الـتى كانت معه ، وأخذوا الدوابّ التى كانت فيها فى هذا اليـوم ، وظفروا بمتاع من متاعه ، وكتب من كتبه ، وإصطرلابات كانت معه ؛ فلما أصبح من غد هذا اليوم نظر فى عدة أصحـابه ، فإذا هم ألف رجل قد كانوا ثابوا إليـه فى ليلتهم تلك .

قــال ريحان : فكَان فــيمن هرب شــبل ، وكــان ناصح الرّمليّ ينكر هرب شبل . قــال ريحان : فرجع شبل من غــد ، ومعه عشــرة غلمان ، فلامه وعنّفه ، وسأل عن غــلام كان يقال له نادر يكنى بأبى نعجة ، وعن عنبر البربرىّ ؛ فأخبر أنهما هربا فــيمن هرب ، فأقام فى موضعه ، وأمر محمد بن سلم أن يــصير إلى قنطرة نهر كَثير ، فيــعظ الناس ويُعلمهم ما الذى دعاه إلى الخروج ، فصار محــمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى ابن محمــد ، فوقف سليمان ويحــيى ، وعبر محمــد بن سلم حتى توسَّط أهل البصرة ، وجعل يكلِّمهم ، ورأوْا منه غِرّة فانطووا عليه ؛ فقتلوه .

قال الفضل بن عدىّ : عَبَر محــمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجــتمعــون فى أرض تعرف بالفَضْل بن ميــمون؛ فكان أوّل من بدر إليه وضــربه بالسيف فَتحٌ غــلام أبى شيث ، وأتاه ابن التّومنىّ الســعدّى، فاحتزّ رأسه، فــرجع سليمان ويحيى إليه ، فأخبراه الخــبر ، فأمرهما بطىّ ذلك عن الناس حتى يكون هو الذى يقولــه لهم ، فلمّا صلى العصر نعى محمــد بن سلم لأصحابه، وعرف خــبره من لم يكن عرفه، فــقال لهم: إنكم تقتلون به فى غــد عشرة آلاف من أهل البصــرة. ووجّه زُريقاً وغلامًا له يقال له سقلبتويا، وأمرهما بمنع الناس من العبور؛ وذلك فى يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين.

قال محمــد بن الحسن : فحدّثنى محمد بن ســمعان الكاتب ، قال : لما كان فى يوم الاثنين لأربع عشرة ليلــة خلت من ذى القعدة جمع له أهل البصرة ، وحــشدوا له لَمّا رأوا من ظهورهم عليه فــى يوم الأحد ، وانتدب

لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحمّاد الساجّى - وكان من غُزاة البحر- فى الشّذا ، وله علم بركوبها والحرب فيها ، فجمع المطوّعة ورماة الأهداف وأهل المسجد الجامع ومَنْ خفّ معه من حزبى البلالية والسعدية ، ومَنْ أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين والقرشيين وسائر أصناف الناس ، فشحن ثلاثة مراكب من الشّذا من الرماة ، وجعلوا يزدحمون فى الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد ، ومضى جمهور الناس رجّالة ، منهم من معه السلاح ، ومنهم نظّارة لا سلاح معهم ، فدخلت الشَّذَا والسفن النهرَ المعروف بأم حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المدّ . ومرّت الرّجالة والنظارة على شاطىء النهر ، قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة ، وكان صاحب الزنج مقيمًا بموضعه من النهر المعروف بشيطان .

قال محمد بن الحسن : فأخبرنا صاحبُ الزّنج أنه لما أحسّ بمصير الجمع إليه ، وأتته طلائعه بذلك وَجّه زُريقًا وأبا الليث الأصبهانىّ فى جماعة معهما فى الجانب الشرقىّ من النهر كميناً وشِبْلاً وحسيناً الحمامىّ فى جماعة من أصحابه فى الجانب الغربىّ بمثل ذلك ، وأمر علىّ بن أبان ومَنْ بقى معه من جمعْه بتلقّى القوم ، وأن يجثوا لهم فيمن معه ، ويستتروا بتراسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيَهم القوم ويُوموا إليهم بأسيافهم ؛ فإذا فَعلوا ذلك ثاروا إليهم . وتقدّم إلى الكمينين : إذا جاوزهما الجمع وأحسًا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجا من جنبتى النهر، ويصيحا بالناس . وأمر نساء الزّنج بجمع الآجرّ وإمداد الرجال به .

قال : وكـان يقول لأصحابه بعـد ذلك : لمّا أقبل إلىّ الجمع يومـئذ وعاينته رأيت أمراً هائلاً راعنى ، وملأ صدرى رهبة وجَزعاً ، وفزعت إلى الدعاء ، وليس معـى من أصحابى إلاّ نفر يسيـر ؛ منهم مصلح ، وليس منا أحد إلا وقـد خُيِّل له مصرعـه فى ذلك . فجعل مـصلح يعجّبنى من كثرة ذلك الجـمع ، وجعلت أرمى إليه أن يمسك ، فلمـا قرب القوم منى قلت: اللهم إن هذه ساعـة العسرة ، فـأعنى ، فرأيت طيوراً بيـضاً تلقّتْ ذلك الجمع ، فلم أسـتتمّ كـلامى حتى بصرت بُسـميريّة قـد انقلبتْ بمن فيها، ففرقوا ثم تلتـها الشّذَا ، وثار أصحابى إلى القوم الذين قصدوا لهم فـصـاحـوا بهم . وخـرج الكمـينان عن جنبـتى النهـر من وراء السـفن والرّجَالة، وخبطوا مَنْ ولىّ من الرّجَالة والنظَّارة الذين كـانوا على شاطىء النهر المعـروف ، فغـرقت طائفة ، وقـتلت طائفة ، وهربت طائفـة نحو الشطّ طمعاً فى النجاة ، فأدركها السيف ؛ فمن ثبت قُتِل ، ومن رجع إلى الماء غرق ، ولجأ من كان على شاطىء النهر من الرّجَالة إلى النهر فغرقوا وقتلوا ، حتى أُبيد أكثـر ذلك الجمع ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، وكثر المفقـودون بالبصـرة ، وعلا العـويل من نسائهم . وهذا يوم الـشذا الذى ذكره الناس ، وأعظموا مـا كان فيه من القتل . وكان فـيمن قتل من بنى هاشم جـماعـة من ولد جـعفـر بن سليمـان وأربعـون رجلاً من الرّمـاة المشهورين ؛ فى خلق كـثير لا يحصى عددهم وانصرف الخـبيث وجُمعت له الرءوس ، فذهب إليـه جماعة من أولياء الـقتلى ، فعرضهـا عليهم ، فأخذوا مـا عرفوا منها ، وعبّأ مـا بقى عنده من الرءوس التى لم يأت لها

طالب فى جريبيّة ملأها منها ، وأخرجها من النهر المعروف بأم حبيب فى الجزر ، وأطلقهـا ، فوافت البصرة ، فوقـفت فى مشرعة تعـرف بمشرعة القيّار، فجعل الناس يأتون تلك الرءوس ، فيأخذ رأسَ كل رجل أولياؤه، وقوىَ عدوّ الله بعد هذا اليوم ، وتمكن الرّعب فى قلوب أهل البصرة منه، وأمـسكوا عن حربه . وكـتب إلى السلطان بخـبر مـا كان منه ، فـوجّه جُعْلان التركىّ مدداً لأهل البصرة ، وأمر أبا الأحوص الباهلىّ بالمصير إلى الأُبُلّة واليًا ، وأمدّه برجل من الأتراك يقال له جُريح .

فزعم الخـبيث أنّ أصحابه قـالوا له بعقب هذه الوقعة : إنا قـد قتلنا مقاتلة أهل البصرة ، ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ومَنْ لا حراك به ، فأذنْ لنا فى تقـحُّمـها . فـزَبَرَهم وهجَّن آراءهم ، وقـال لهم : لا بل ابعـدوا عنها؛ فـقد أرعبناهم وأخـفناهم وأمنتم جانبهم ؛ فـالرأى الآن أن تَدَعوا حربَهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم . ثم انصرف بأصحابه فى سَبَخة بمآخيـر أنهارهم، إردبّ يقارب النهـر المعروف بالحاجر. قـال شبل: هى سَبخة أبى قرّة وقعها بين النهرين: نهر أبى قرّة والنهر المعروف بالحاجر.

فأقام هناك ، وأمر أصـحابه بإتخاذ الأكواخ ، وهذه السبـخة متوسطة النخل والقرى والعـمارات ، وبثّ أصحـابه يمينًا وشمالاً يغـير بهم على القرى ، ويقتل بهم الأكرة وينهب أموالهم ، ويسوق مواشيَهم .

فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قربوا من موضع مخرجه فى هذه السنة .

الفصل الرابع

ذكر أخبار صاحب الزنج مع جُعلان

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين وفى هذه السنة وافَى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج .

ذكر الخبر عما كان من أمرهما هنالك :

ذكر أن جُعلان لما صار إلى البصرة زحف بعسكره منها ، حتى صار بينه وبين عسكر صاحب الزَّنْج فرسخ ، فخندق على نفسه ومَنْ معه ، فأقام ستة أشهر فى خندقه ، فوجّه الزينبىُّ وبُريه وبنو هاشم ومَنْ خفّ لحرب الخبيث من أهل البصرة فى اليوم الذى تواعدهم جعلان للقائه ، فلما التقوْا لم يكن بينهم إلاّ الرمُى بالحجارة والنشاب ، ولم يجد جعلان إلى لقائه سبيلاً لضيق الموضع بما فيه من النخل والدّغل عن مجال الخيل، وأصحابه أكثرهم فرسان .

فذكر عن محمد بن الحسن أنّ صاحب الزنج قال : لمّا طال مقام جُعلان فى خندقه ، رأيتُ أن أخفِىّ له من أصحابى جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق ، ويبيّتونه فيه ، ففعل ذلك ، وبيته فى خندقه ، فقُتِل جماعة من رجاله ، وريع الباقون روعاً شديدًا ، فترك جعلان عسكره ذلك، وانصرف إلى البصرة ، وقد كان الزينبىّ قبل ذلك قد جمع مقاتلة البلالية والسعدية ، ثم وجّه لهم من ناحية نهر نافذ وناحية هَزَارْدر،

فواقعوه من وجهين ، ولقيهم الزَّنج ، فلم يثبتوا لهم ، وقهرهم الزّنج ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وانصرفوا مفلولين ، وإنحاز جعلان إلى البصرة ، فأقام بها وظهر عجزه للسلطان .

* * *

وفى هذه السنة صرف جُعلان عن حرب الخبيث ، وأمر سعيد الحاجب بالشخوص إليها لحربه .

وفيها تحوّل صاحب الزَّنْج من السَّبَخة التى كان ينزلها إلى الجانب الغربىّ من النهر المعوف بأبى الخصيب .

وفيها أخذ صاحب الزّنج - فيما ذكر - أربعة وعشرين مركبًا من مراكب البحر ، كانت اجتمعت تريد البصرة ، فلمّا انتهى إلى أصحابها خبره وخبر مَن معه من الزّنج وقطعهم السبيل ، اجتمعت آراؤهم على أن يشدُّوا مراكبهم بعضها إلى بعض ؛ حتى تصير كالجزيرة ، يتصل أولها بآخرها ، ثم يسيروا بها فى دِجْلة ، فاتَصل به خبرها ، فندب إليها أصحابه ، وحرّضهم عليها ، وقال لهم : هذه الغنيمة الباردة .

قال أبو الحسن : فسمعت صاحب الزَّنج يقول : لمّا بلغنى قربُ المراكب منى نهضت الصلاة ، وأخذت فى الدعاء والتضرّع ، فخوطبتُ بأن قيل لى : قد أظلّك فتحٌ عظيم ، والتفتُّ فلم ألبث أن طلعت المراكب، فنهض أصحابى إليها فى الجريبيّات ؛ فلم يلبثوا أن حَوَوْها وقتلوا مقاتلتها ، وسبَوْا ما فيها من الرَّقيق ، وغنموا منها أموالاً عظامًا لا

تُحصَى ولا يعرف قدرها ، فأنهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ، ثم أمر بما بقى فجيزَ له .

* * *

ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلّة

ولخمس يَقِين من رجب من هذه السنة ، دخل الزَّنج الأبلّة ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً وأحرقوها .

ذكر الخبر عنها وعن سبب الوصول إليها :

ذكر أن صاحب الزّنج لما تنحّى جعلان عن خندقه بشاطىء عثمان الذى كان فيه ، وإنحاز إلى البصرة ألحَّ بالسرايا على أهل الأُبلَّه ، فجعل يحاربهم من ناحية شاطىء عثمان بالرجالة ، وبما خفّ له من السفن من ناحية دِجْلة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر مَعْقِل .

فذكر عن صاحب الزّنج ، أنه قال : ميّلت[1] بين عبّادان والأُبلّة ، فملتُ إلى التوجّه إلى عَبَّادان ، وندبتُ الرّجالة لذلك ، فقيل لى : إن أقرب العدو داراً ، وأولاه بألاّ تتشاغل بغيره عنه أهلُ الأُبلة ، فرددت الجيش الذى كنت سيْرتُ نحو عبّادان إلى الأبلّة . فلم يزالوا يحاربون أهل الأُبلّة إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومائتين . فلما كان فى هذه الليلة اقتحمها الزنج مما يلى دِجْلة ونهر الأُبلّة ، فقتل بها أبو الأحوص وابنه ، وأضرمت ناراً ، وكانت مبنية

---

(١) ميّلت : أى أخذت أرجح وأوازن .

بالساج محفوفة بناء متكاثفًا ، فأسرعت فيها النار ، ونشأت ريحٌ عاصف ، فأطارت شرر ذلك الحريق حتى وصلت بشاطىء عثمان ، فاحترقَ . وقُتِل بالأُبُلّة خلقٌ كثير ، وغرق خلق كثير ، وحُويت الأسلاب ، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتُهب .

وقتِل فى هذه الليلة عبدُ الله بن حميد الطوسىّ وابنٌ له ، كانا فى شَذاة بنهر مَعْقِل مع نُصير المعروف بأبى حمزة .

* * *

ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبّادان

وفى هذه السنة استسلم أهل عبّادان لصاحب الزّنج فسلّموا إليه حصنهم .

ذكر الخبر عن السبب الذى دعاهم إلى ذلك :

ذُكر أنّ السبب فى ذلك أنّ الخبيث لما فعل أصحابُه من الزّنج بأهل الأُبُلّة ما فعلوا ، ضعفت قلوبهم ، وخافوهم على أنفسهم وحُرمهم، فأعطوا بأيديهم ، وسلموا إليه بلدهم ، فدخلها أصحابه ، فأخذوا مَنْ كان فيها من العبيد ، وحملوا ما كان فيها من السلاح إليه ، ففرّقه عليهم .

* * *

ذكر خبر دخول أصحاب صاحب الزنج الأهواز

وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر .

ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالأُبُلّة . وفعلوا بها ما فعلوا ، واستسلم له أهلُ عَبَّادان ، فأخذ مماليكهم ، فضمّهم إلى أصحابه من الزَّنْج ، وفرّق بينهم ما أخذ من السلاح الذى كان بها ، طمع فى الأهواز، فاستنهض أصحابه نحو جُبّى ، فلم يثبتْ لهم أهلها ، وهربوا منهم ، فدخلوا . فقتلوا وأحرقوا . ونهبوا وأخربوا ما وراءها ، حتى وافوا الأهواز ، وبها يومئذ سعيد بن يكسين والٍ وإليه حربُها ، وإبراهيم ابن محمد بن المدّبر وإليه الخراج والضيّاع ؛ فهرب الناسَ منهم أيضًا فلم يقاتلهم كثير أحد ، وإنحاز سعيد بن تكسين فيمَن كان معه من الجند ، وثبت إبراهيم بن المدّبر فيمن كان معه من غلمانه وخَدَمه ، فدخلوا المدينة، فاحتوَوْها ، وأسروا إبراهيم بن محمد بعد أن ضُرب ضربةً على وجهه ، وحوَوْا كلّ ما كان يملك من مال وأثاث ورقيق ؛ وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين .

ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذى كان منه بالأُبُلّة ، رعب أهل البصرة رعبًا شديدًا ، فانتقل كثير من أهلها عنها ، وتفرّقوا فى بلدان شتّى ، وكثرت الأراجيف من عوامها .

خلافة المعتمد على الله :

وفيها بويع أحمد بن أبى جعرف المعروف بابن فِتْيان ، وسُمِّىَ المعتمد على الله ، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب .

*   *   *

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

ذكر خبر إنهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب

وفيها أمرِ بُغراج باستحثاث سعيد الحاجب فى المصير إلى دِجْلة والإناخة بإزاء عسكر صاحب الزَّنج ، ففعل ذلك بُغراج - فيما قيل - ومضى سعيد الحاجب لما أمرِ به من ذلك فى رجب من هذه السنة .

فذُكر أن سعيداً لمّا صار إلى نهر مَعْقِل وجد هنالك جيشاً لصاحب الزَّنج بالنهر المعروف بالمُرْغاب - وهو أحد الأنهار المعترضة فى نهر معقل - فأوقع بهم فهزمهم ، واستنفذ ما فى أيديهم من النِّساء والنهب ، وأصابت سعيدًا فى تلك الوقعة جراحات ، منها جراحة فى فيه . ثم سار سعيد حتى صار إلى الموضع المعروف بعسكر أبى جعفر المنصور ، فأقام به ليلة ، ثم سار حتى أناخ بموضع يقال له هَطمَة من أرض الفرات ، فأقام هنالك أيامًا يعبِّى أصحابه ، ويستعدّ للقاء صاحب الزَّنْج . وبلغه فى أيام مقامه هنالك ، أن جيشاً لصاحب الزَّنج بالفُرات ، فقصد لهم بجماعة من أصحابه ، فهزمهم ، وكان فيهم عمران زَوْج جدّة ابن صاحب الزّنج

المعروف بأنكلاى ، فاستأمن عمران هذا إلى بُغراج ، وتفرّق ذلك الجمع.
قال محمد بن الحسن : فلقد رأيتُ المرأة من سكان الفرات تجد الزنجىَّ مستتراً بتلك الأدغال ، فتقبض عليه حتى تأتى به عسكر سعيد ما به منها امتناع . ثم قصد سعيد حرب الخبيث فعبر إلى غربىّ دجلة ، فأوقع به وقعات فى أيام متوالية ، ثم انصرف سعيد إلى معسكره بهَطمَة ، فأقام به يحاربه باقى رجب وعامّة شعبان .

* * *

خلاص ابن المدبّر من صاحب الزنج

وفيها تخلص إبراهيم بن محمد بن المدبر من حبس الخبيث ، وكان سبب تخلصه منه - فيما ذكر - أنه كان محبوسًا فى غرفة فى منزل يحيى ابن محمد البحرانىّ ، فضاق مكانه على البَحْرانىّ ، فأنزله إلى بيت من أبيات داره ، فحبسه فيه ، وكان موكَّلا به رجلان ، ملاصقٌ مسكنهما المنزل الذى فيه إبراهيم ، فبذل لهما ، ورغّبهما ، فسربَا له سربَاً إلى الموضع الذى فيه إبراهيم من ناحيتهما ، فخرج هو وابن أخ له يعرف بأبى غالب ورجل من بنى هاشم كان محبوساً معهما .

* * *

ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه

وفيها أوقع أصحاب الخبيث بسعيد وأصحابه فقتلوه ومَنْ معه .

ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذُكر أن الخبيث وجّه إلى يحيى بن محمد البحرانىّ وهو مقيم بنهر مَعْقِل فى جيش كثيف يأمره بالتوجّه بألف رجل من أصحابه ، يرئَس عليهم سليمان بن جامع وأبا الليث ، ويأمرهما بالقَصْد لعسكر سعيد ليلاً حتى يوقعا به فى وقت طلوع الفجر . ففعل ذلك ، فصارا إلى عسكر سعيد ، فصادفا منهم غِرّة وغفلة ، فأوقعا بهم وقْعَةً . فقتلا منهم مقتلة عظيمة ، وأحرَق الزّنج يومئذ عسكر سعيد ، فضعف سعيد ومن معه ، ودخل أمرَهم خللٌ للبيات الذى تهيّأ عليهم ، ولاحتباس الأرزاق عنهم ، وكانت سبّبت لهم من مال الأهواز ، فأبطأ بها عليهم منصور بن جعفر الخياط ، وكان إليه يومئذ حرب الأهواز ، وله من ذلك يدٌ فى الخراج .

ولما كان من أمر سعيد بن صالح ما كان ، أُمِر بالإنصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذى معه وما إليه من العمل هنالك إلى منصور ابن جعفر ؛ وذلك أنّ سعيداً ترك بعد ما كان من بيات الزّنج أصحابه وإحراقهم عسكره ؛ فلم يكن له حركة إلى أن صُرِف عمّا كان إليه من العمل هنالك .

* * *

خبر الوقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج

وفيها كانت وقعة بين منصور بن جعفر الخياط وبين صاحب الزّنج ، قُتل فيها من أصحاب منصور جماعة كثيرة .

ذكر الخبر عن صفة هذه الوقعة :

ذُكر أن سعيداً الحاجب لمّا صُرف عن البصرة ، أقام بُغْرَاج بها يحمى أهلها ، وجعل منصور يَجمع السفن التى تأتى بالمِيرة ، ثم يُبذْرِقها فى الشَّذَا إلى البصرة ، فضاق بالزنج المِيرة ، ثم عبّأ منصور أصحابه ، وجمع إلى الشذا التى كانت معه الشَّذَا الجنّابيات والسفن ، وقصد صاحبَ الزَّنج فى عسكره ، فصعد قصراً على دجلة ، فأحرقه وما حوله ، ودخل عسكر الخبيث من ذلك الوجه ، ووافاه الزَّنج ، وكمّنوا له كمينًا ، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة . وألجىء الباقون إلى الماء . فغرق منهم خلق كثير ، وحمِل من الرءوس يومئذٍ - فيما ذكر - زهاء خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحرانىّ بنهر معقِل ، وأمر بنصبها هنالك .

وفيها ظَهر من بغداد بموضع يقال له برْكةُ زلزلٍ . على خنّاق ، وقد قتل خلقاً كثيراً من النساء ودفنهنّ فى دار كان فيها ساكناً ، فحمِل إلى المعتمد ؛ فبلغنى أنه أمَر بضربه ، فضُرِب ألفى سوط وأربعمائة أرزن فلم يمت حتى ضرب الجلاّدون أنثييْه بخشب العقابيْن ، فمات ، فرُدّ إلى بغداد فصُلب بها ثم أحرِقت جثته .

❁ ❁ ❁

الفصل الخامس

ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين .

وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة .

ذكر الخبر عن سبب وصولهم إى ذلك وما عملوا بها حين دخلوها :

ذُكر أنّ سعيد بن صالح لمّا شخَص من البَصْرة ضمّ السلطان عملَه إلى منصور بن جعفر الخياط ؛ وكان من أمرِ منصور وأمرِ أصحاب الخبيث ما قد ذكرناه قبلُ ، وضعف أمر منصور ، ولم يَعُدْ لقتال الخبيث في عسكره ، واقتصر علَى بذرْقة[1] القَيْروانات ، واتّسع أهلُ البصرة لوصول المِيَر إليهم ، وكان انقطاع ذلك عنهم قد أضرّ بهم ، وانتهى إلى الخبيث الخبر بذلك ، وإتساعُ أهل البصرة ، فعظم ذلك على الخبيث ، فوجّه عليّ بن أبان إلى نواحي جُبَّى ، فعسكر بالخيزُرانيّة ، وشغل منصور بن جعفر عن بَذْرَقة القيْروانات إلى البصرة ، فعاد حال أهل البصرة إلى ما كانت عليه من الضيق . وألحَ أصحاب الخبيث على أهل البصرة بالحرب صباحاً ومساء .

فلما كان في شوال من هذه السنة أزمع الخبيث على جَمْع أصحابه للهجوم على أهل البصرة ، والجدّ في خرابها ، وذلك لعلمه بضعف أهلها

(١) البذرقة : الحراسة ، والقيروان : القافلة .

وتفرّقهم ، وإضرار الحصار بهم ، وخراب ما حولها من القرى ؛ وكان قد نظر فى حساب النجوم ، ووقف على إنكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلُو من الشهر .

فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعتُه يقول : اجتهدتُ فى الدعاء على أهل البصرة ، وابتهلت إلى الله فى تعجيل خرابها ، فخوطبتُ ، فقيل لى : إنما البصرة خُبْزَةٌ لك تأكلها من جوانبها؛ فإذا انكسر نصْفُ الرغيف خربت البصرة ، فأوَلْتُ انكسار نصف الرغيف إنكساف القمر المتوقَّع فى هذه الأيام ، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده .

قال : فكان يحدّث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه ، وكثر تردده فى أسماعهم وإحالته إياه بينهم .

ثم ندب محمد بن يزيد الدرامىّ ، وهو أحد مَنْ كان صحبه بالبحرين للخروج إلى الأعراب ، وأنفذه فأتاه منهم خَلْق كثير ، فأناخو بالقنْدل ، ووجّه إليهم الخبيث سليمان بن موسى الشعرانىّ ، وأمرهم بتطرّق البصرة ، والإيقاع بها ، وتقدّم إلى سليمان بن موسى فى تمرين الأعراب على ذلك ؛ فلمّا وقع الكسوف أنهض علىّ بن أبان ، وضمّ إليه طائفة من الأعراب ، وأمره بإتيان البصرة مما يلى بنى سعد ، وكتب إلى يحيى بن البحرانىّ - وهو يومئذ محاصر أهل البصرة - فى إتيانها مما يلى نهر عدّى ، وضمّ سائر الأعراب إليه . قال محمد بن الحسن : قال

شبل: فكان أوّل مَنْ واقع أهل البصرة علىّ بن أبان ، وبُغراج يومئذ بالبصرة فى جماعة من الجُند ، فأقام يقاتلهم يومين ؛ ومال الناس نحوه .

وأقبل يحيى بمن معه مما يلى قصر أنس قاصداً نحو الجسر ، فدخل علىّ بن أبان المهلبىّ وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت . وغادى يحيى البصرة يوم الأحد ، فتلقّاه بُغراج وبُرَيْهٌ فى جَمْع فردّاه ، فرجع فأقام يومه ذلك ، ثم غاداهم يوم الاثنين ، فدخل وقد تفرّق الجند ، وهرب بُريه ، وإنحاز بغراج بمَن معه ، فلم يكن فى وجهه أحدٌ يدافعه ، ولقيَه إبراهيم بن يحيى المهلبىّ ، فاستأمنه لأهل البصرة فآمنهم ، ونادى منادى إبراهيم بن يحيى : مَنْ أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم ، فحضر أهل البصرة قاطبةً حتى ملئوا الرّحاب . فلما رأى اجتماعَهم انتهز الفرصة فى ذلك منهم ، فأمر بأخذ السكك والطرق والدّرُوب لئلا يتفرقوا ، وغَدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم ، فقتل كلّ مَنْ شهد ذلك المشهد إلا الشاذّ ، ثم انصرف يومَه ذلك ، فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخُرَيبة .

قال محمد : وحدّثنى الفضل بن عدىّ الدرامىّ ، قال : أنا حين جّه الخائن لحرب أهل البصرة فى حيِّز أهل البصرة مُقيمٌ فى بنى سعد . قال: فأتانا آت فى الليل ؛ فذكر أنه رأى خيلاً مجتازة تؤمّ قصر عيسى بالخرّيبة، فقال لى أصحابى : اخرج فتعرّف لنا خبَر هذه الخيل ، فخرجتُ فإذا جماعة من بنى تميم وبنى أسد ، فسألتُهم عن حالهم ، فزعموا أنهم أصحاب العَلَوىْ المضمومون إلى علىّ بن أبان ، وأنّ عليًّا يوافِى البصرة

فى غدِ تلك الليلة ، وأنّ قصــده لناحية بنى سعد ، وأن يحيى بــن محمد بجمعه قاصد لناحيــة آل المهلب ، فقالوا : قل لأصحابك من بنى سعد : إن كنتم تريدون تحصينَ حُرَمكم ، فــبادروا إخراجهم قبــل إحاطة الجيش بكم .

قال الفــضل : فرجــعتُ إلى أصحــابى ، فأعلمــتُهم خبــرَ الأعراب فاسعدّوا ، فــوجهوا إلى بُرَيْه يعلِمونه الخبر ، فوافــاهم فيمن كان بقِىَ من الخَول وجمــاعة من الجند وقــت طلوع الفجــر ، فساروا حــتى انتهــوْا إلى خندق يعرف ببنى حِمَّان ، ووافاهم بنو تميم ومقــاتلة السعديّة ، فلم يلبثوا أن طلع عليهم علىّ بن أبان فى جماعة الزَّنْج والأعراب على مُتون الخيل، فذهِل بُريه قــبل لقاء القوم ، فرجع إلى مــنزله ، فكانت هزيمةٌ ، وتفرّق مَنْ كان اجتمع من بنى تميم ، ووافى علىّ فلم يدافــعه أحدٌ ، ومرّ قاصداً إلى المِرْبد ، ووجّه بُرَيه إلى بنى تميم يســتــصرخُهم ، فنهض إليــه منهم جماعة ، فكان القتــال بالمِربَد بحضرة دار بُرَيْه ، ثم انهزم بُريه عن داره ، وتفرّق الناسِ لإنهــزامه ، فأحرقت الزنج دارَه ، وانتهــبوا ما كان فــيها ، فأقــام الناس يقــتلون هنالك ، وقد ضَعُف أهلُ البــصرة ، وقَوِى عليــهم الزَّنج، واتصلت الحرب بينهم إلى آخرِ ذلك اليــوم ، ودخل علىّ المسجد الجامع فأحرقه . وأدركه فتح غــلام أبى شيث فى جماعة من البصريّن ، فانكشف علىّ وأصحابه عنهم ، وقُتِل من الزَّنْج قوم ، ورجع علىّ فعسكر فى الموضع المعروف بمقبرة بنى شيــبان ، فطلب الناس سلطاناً يقاتلون معه فلم يجدوه ، وطلبوا بُرَيْهاً ، فوجدوه قد هرب ، وأصبح أهلُ البصرة يوم

السبت ، فلم يأتهم عليّ بن أبان ، وغاداهم يوم الأحد ، فلم يقف له أحد ، وظفر بالبصرة .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى محمد بن سمعان ، قال : كنت مقيماً بالبصرة فى الوقت الذى دخلها الزّنْج ، وكنت أحضرُ مجلس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المعروف ببُريه ، فحضرته وحضر يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين وعنده شهاب بن العلاء العنبرىّ ، فسمعتُ شهاباً يحدّثه أن الخائن قد وجّه بالأموال إلى البادية ليعرّض بها رجال العرب ، وأنه قد جمع جمعاً كبيراً من الخيل ، وهو يريد تورّد البصرة بهم وبرجّالته من الزنج ، وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نيّف وخمسين فارساً مع بُغراج ، فقال بُريه لشهاب : إنّ العرب لا تقدم علىّ بمساءة ؛ وكان بُريه مطاعاً فى العرب ، محبّبًا إليهم .

قال ابن سمعان : فانصرفت من مجلس بُرَيه ، فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب ، فسمعته يحكى عن هارون بن عبد الرحيم الشيعىّ ؛ وهو يومئذ يلى بَريد البصرة ، أنّه صَحّ عنده أنّ الخائن جمّع لثلاث خَلَوْن من شوّال فى تسعة أنفس ، ؛ فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغَبَا عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت . وقد كان الحصار عضّ أهل البصرة ، وكثر الوْباء بها ، واستعرَت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية .

فلما كان يوم الجـمعة لثلاث عشـرة بقيَتْ من شوّال من هذه السنة ، أغارت خيل الخائن على البَصْرة صبحًا فى هذا اليوم ؛ من ثلاثة أوجه من ناحية بنى سَعْد والمربد والخُرَيبة ؛ فـكان يقودُ الجيش الذى سار إلى المِربَد علىّ بن أبان ، وقد جـعل أصحابه فرقتين ؛ فـرقة وَلّىَ عليها رفـيقًا غلام يحيى بن عـبد الرحمن بـن خاقان ، وأمرهـم بالمصير إلى بنى سـعد ، والفرقة الأخرى سار هو فيـها إلى المِربَد ؛ وكان يقود الخيل التى أتت من ناحية الخُريبة يحـيى بن محمد الأزرق البحرانىّ ، وقـد جمع أصحابه من جهـة واحدة ، وهو فيـهم ؛ فخرج إلى كلّ فـرقة من هؤلاء من خفّ من ضعفاء أهل البصرة ، وقـد جَهَدهم الجوع والحصار ، وتفرّقت الخيل التى كانت مع بُغراج فرقتين : فرقة صـارت إلى ناحية المِربَد وفرقة صارت إلى ناحية الخُرَيبة ، وقاتل من ورد ناحية بنى سعـد جماعة من مقاتلة السعديّة فتح غلام أبى شيث وصحبـه ، فلم يُغْنِ قليلٌ من أهل البصرة إلى جموع الخبيث شيئاً ، وهجم القوم بخيلهم ورجلهم .

قال ابن سمعان : فإنّى يومئـذ لفِى المسجد الجامع ، إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه : زهران والمِرْبد وبنى حِمّان فى وقت واحـد ، كأنّ موقديِهـا كانوا على ميعـاد ؛ وذلك صدْر يوم الجمـعة ، وجلّ الخطب ، وأيقن أهل البـصرة بـالهلاك ، وسَعَى مَنْ كـان فى المسـجد الجـامع إلى منازلهم ، ومـضـيتُ مبـادراً إلى منزلى ؛ وهو يومـئـذ فى سكة المِرْبد ، فلقيني منهزمـو أهل البصرة فى السكة راجعين نحو المسـجد الجامع ، وفى أخراهم القـاسم بن جعفر بن سليـمان الهاشمىّ ، وهو على بغل مـتقلّد

سيفاً يصيح بالناس : ويحكم ! أتسلمون بلدكم وحرمكم ! هذا عدوّكم قد دخل البلد ، فلم يلووا عليه ، ولم يسمعوا منه ، فمضى وانكشفت سكة المِرْبد ، فصار بين المنهزمين والزّنج فيها فضاء يسافر فيه البصَر .

قال محمد : فلما رأيتُ ذلك دخلت منزلي ، وأغلقت بابي ، وأشرفتُ فإذا خيل من الأعراب ورجّالة الزنج ، تقدّمهم رجل على حصان كُميت ، بيده رمح ، عليه عَذَبَة صفراء ؛ فسألت بعد أن صِيربي إلى مدينة الخائن عن ذلك الرجل ، فادّعى علىّ بن أبان أنه ذلك الرجل ، وأنّ الراية الصفراء رايتُه ، ودخل القوم ، فغابوا فى سكة المِرْبد إلى أن بلغوا باب عثمان ؛ وذلك بعد الزوال ثم انصرفوا ، فظنّ الناس من رعاع أهل البصرة وجهالهم أنّ القوم قد مضوْا لصلاة الجمعة ؛ وكان الذى صرفهم أنهم خشوا أن يخرجَ عليهم جمع السعديّة والبِلالية من المربّعة ، وخافوا الكمناء هناك ، فانصرفوا وانصرف من كان بناحية زَهْران وبنى حصن ، وذلك بعد أن أحرقوا وأنهبوا واقتدروا على البلد ، وعلموا أنه لا مانع لهم منه ، فأغبُّوا السبت والأحد ، ثم غادوا البصرة يوم الاثنين، فلم يجدوا عنها مدافعاً ، وجُمع الناس إلى باب إبراهيم بن يحيى المهلبىّ وأعطوا الأمان .

قال محمد بن سمعان : فحدثنى الحسن بن عثمان المهلبىّ الملقب بمُنْدَلَقَة - وكان من أصحاب يحيى بن محمد - قال : أمرنى يحيى فى تلك الغداة بالمصير إلى مقبرة بنى يَشْكر ، وحَمْل ما كان هناك من

التنانير، فصرتُ إليها ، فحملتُ نَيِّفًا وعشرين تَنورًا على رءوس الرجال ، حتى أتيت بها دار إبراهيم بن يحيى ، والناس يظنّون أنها تعدّ لإتّخاذ طعام لهم ؛ وهم من الجوع وشدة الحصار والجهد على أمر عظم ، وكثر الجمع بباب إبراهيم بن يحيى ، وجعلوا ينوبون ويزدادون ،؛ حتى أصبحوا وارتفعت الشمس .

قال ابن سمعان : وأنا يومئذ قد انتقلت من سكة المربد من منزلى إلى دار جدّ أمى هشام المعروف بالدافّ ، وكانت فى بنى تميم ، وذلك للذى استفاض فى الناس من دخول بنى تميم فى سلمْ الخائن ، فإنى لهناك إذ أتى المخبرون بخبر الوَقْعة بحضرة دار إبراهيم بن يحيى ، فذكروا أن يحيى بن محمد البحرانىّ أمر الزَّنج ، فأحاطوا بذلك الجمع ، ثم قال : مَنْ كان من آل المهلب فلْيدخل دار إبراهيم بنى يحيى ، فدخلتْ جماعة قليلة ، وأغلقوا الباب دونهم . ثم قيل للزَّنج : دونكم الناس فاقتلوهم ، ولا تُبقوا منهم أحداً ، فخرج إليهم محمد بن عبد الله المعروف بأبى الليث الأصبهانى ، فقال للزَّنج : كيلوا - وهى العلامة التى كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله - فأخذ الناسَ السيف .

قال الحسن بن عثمان : فإنى لأسمع تشهدهم وضجيجهم ، وهم يقتَلون ، ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهّد ؛ حتى لقد سمعت بالطُّفَاوة ، وهم على بُعد من الموضع الذى كانوا به . قال : ولما أتىَ على الجمع الذى ذكرنا أقبل الزّنج على قتل مَنْ أصابوا ، ودخل علىّ بن أبان يومئذ، فأحرق المسجد الجامع ، وراح إلى الكَلاء ، فأحرقه من الجبل إلى الجسر،

والنار فى كلّ ذلك تأخذ فى كلّ شىء مَرّت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع ، ثم ألحَوا بالغُدوّ والرّواح على مَنْ وجدوا يسوقونهم إلى يحيى بن محمّد ؛ وهو يومئذ نازلٌ بسَيْحان ؛ فمن كان ذا مال قرّره حتى يستخرج ماله ، ويقتله ، ومن كان مُمْلقًا قتله .

وذُكِرَ عن شبْل أنه قال : باكر يحيى البصْرة يوم الثلاثاء بعد قتل مَنْ قتل بباب إبراهيم بن يحيى ، فجعل ينادى بالأمان فى الناس ليظهروا ، فلم يظهر له أحدٌ ، وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فصرف علىّ بن أبان عن البصرة ، وأفرد يحيى بها لموافقة ما كان أتى يحيى من القتل إياه ووقوعه لمحبّته ، وأنه استقصر ما كان من علىّ بن أبان المهلبىّ من الإمساك عن العيْث بناحية بن سعد . وقد كان علىّ بن أبان أوفد إلى الخبيث من بنى سعد وفداً ، فصاروا إليه ، فلم يجدوا عنده خيراً ، . فخرجوا إلى عبّادان، وأقام يحيى بالبصرة ، فكتب إليه الخبيث يأمره بإظهار استخلاف شبْل على البصرة ليسكن الناس ، ويظهر المستخفى ومَنْ قد عُرف بكثرة المال ، فإذا ظهروا أخذوا بالدلالة على ما دفنوا وأخفَوْا من أموالهم . ففعل ذلك يحيى ، فكان لا يخلو فى يوم من الأيام من جَماعة يُؤتى بهم ، فمَنْ عُرف منهم باليسار استنظف ما عنده وقتله ، ومن ظهرت له خَلّتهُ عاجلة بالقتل ؛ حتى لم يدع أحداً ظهر[1] له إلا أتى عليه ، وهرب الناس على وجوههم ، وصف الخبيث جيشه عن البصرة .

---

(١) من : «أظهر» .

قال محمد بن الحسن : ولما أخرب الخائن البصرة ، وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه فيها ، سمعته يقول : دعوتُ على أهل البصرة فى غداة اليوم الذى دخلها أصحابى ، واجتهدت فى الدعاء ، وسجدت ، وجعلت أدعو فى سجودى ، فرُفعتُ إلىّ البصرة ، فرأيتها ورأيت أصحابى يقاتلون فيها ، ورأيت بين السماء والأرض رجلاً واقفاً فى الهواء فى صورة جَعْفر المعلوف المتَولىّ كان للاستخراج فى ديوان الخراج بسامُرّا، وهو قائم قد خفض يده اليسرى ، ورفع يده اليمنى ، يريد قلب البصرة بأهلها ، فعلمتُ أن الملائكة تولّت إخرابها دون أصحابى ، ولو كان أصحابى تولّوْا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذى يحكى عنها . وإن الملائكة لتنصرنى وتؤيدنى فى حربى . وتثبّت مَن ضَعُف قلبه من أصحابى .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة .

وفيها ضُرب عنق قاضٍ لصاحب الزَّنج ، كان يقضى له بعبّادان . وأعناق أربعة عشر رجلاً من الزَّنج بباب العامّة بسامُرّا ، كانوا أسِرُوا من ناحية البصرة .

ذكر الخبر عن قتل مفلح

ولاثنتى عشرة بقيتْ من جُمادى الأول منها ، قُتِل مُفلِح بسهم أصابه

بغير نصل فى صُدغه يوم الثلاثاء ، فأصبح ميتاً يوم الأربعاء فى غدِ ذلك اليوم ، وحُمِلت جثّته إلى سامُرّا ، فدفن بها .

ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان الوصول إليه :

قد مضى ذكرى شخوص أبى أحمد بن المتوكل من سامُرّا إلى البصرة لحرب اللعين لمّا تناهى إليه وإلى المعتمد ما كان من فظيع ما ركب من المسلمين بالبصرة ، وما قرب منها من سائر أرض الإسلام ، فعاينتُ أنا الجيش الذى شخص فيه أبو أحمد ومفلح ببغداد ، وقد اجتازوا بباب الطاق ، وأنا يومئذ نازلٌ هنالك ، فسمعت جماعةً فى مشايخ أهلِ بغداد يقولون : قد رأينا جيوشًا كثيرة من الخلفاء ، فما رأينا مثلَ هذا الجيش أحسن عُدّة ، وأكمل سلاحًا وعتادًا ، وأكثر عددًا وجمعًا ، وأتبع ذلك الجيش من متسوّقة أهل بغداد خلق كثير .

وذكر عن محمد بن الحسن أن يحيى بن محمد الحرانىّ كان مقيمًا بنهر معقِل قبل موافاة أبى أحمد موضعَ الخبيث : فاستأذنه فى المصير إلى نهر العباس ، فكره ذلك ، وخاف أن يوافيَه جيشُ السلطان ، وأصحابه متفرّقون ، فألحَ عليه يحيى حتى أذن له ، فخرج واتبّعَه أكثر أهل عسكر الخبيث .

وكان علىّ بن أبان مقيًا بجُبَّى فى جمع كثير من الزَّنج ، والبصرة قد صارت مغنماً لأهل عسكر الخبيث ، فهم يغادونها ويراوحونها لنقل ما نالته أيديهم منهم ، فليس بعسكر الخبيث يومئذ من أصحابه إلاّ القليل ؛

فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد فى الجيش الذى كان معه فيه مفلح ، فوافى جيشٌ عظيم هائل لم يرد على الخبيث مثله ، فلمّا انتهى إلى نهر معقِل هرب مَنْ كان هناك من جيش الخبيث ، فلحقوا به مرعوبين ، فراع ذلك الخبيث ، فدعا برئيسين من رؤساء جيشه الذى كان هناك ، فسألهما عن السبب الذى له تركا موضعهما ؛ فأخبراه بما من عظم[1] أمر الجيش الوارد ، وكثرة عدد أهله[2] وإحكام عُدّتهم ؛ وأنّ الذى عاينا من ذلك لم يكن فى قوتهما الوقوف له فى العدّة التى كانا فيها، فسألهما : هل علما مَنْ يقود الجيش ؟ فقالا : لا قد اجتهدنا فى علم ذلك ، فلم نجد من يصدُقنا عنه ، فوجّه الخبيث طلائعَه فى سُميريّات لتعرف الخبر ، فرجعت رسله إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه ؛ ولم يقف أحدٌ منهم على مَنْ يقوده ويرأسه ، فزاد ذلك فى جزعه وارتياعه ، فبادر بالإرسال إلى علىّ بن أبان ، يعلمه خبر الجيش الوارد ، ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ، ووافى الجيش ، فأناخ بإزائه ، فلما كان اليوم الذى كانت فيه الوقعة وهو يوم الأربعاء ، خرج الخبيث ليطوف فى عسكره ماشيًا ، ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حزبه ومَنْ هو مقيم بإزائه من أهل حربة ، وقد كانت السّماء مطرت فى ذلك اليوم مطراً خفيفًا والأرض ثريّة تزلّ عنها الأقدام ، فطوّف ساعة من أول النهار ، ثم رجع فدعا بدواة وقرطاس لينفذ كتاباً إلى علىّ بن أبان ، يعلمه ما قد أطلّه من

(١) ب : «وعظم» ، س : «من عظيم» .

(٢) س : عدة أهله» .

الجيش ويأمره بتقديم مَنْ قدر على تقديمه من الرّجال ، فإنه لَفِى ذلك إذ أتاه المكتنى أبا دُلَف - وهو أحد قوّاد السودان - فقال له : إن القوم قد صعدوا وانهزم عنهم الزَّنج ، وليس فى وجوههم مَنْ يردّهم[1] حتى انتهوا إلى الحبل الرابع . فصاح به وانتهره ، وقال : اغرُب عنى فإنك كاذب فيما حكيتَ ؛ وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيتَ من الجمع ، فانخلع قلبُك ، ولست تدرى ما تقول : فخرج أبو دلف من بين يديه ، وأقبل على كاتبه ، وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجّان بالنداء فى الزَّنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب ؛ فأتاه السجّان ، فأخبره أنه قد ندب الزَّنج ، فخرجوا . وإنّ أصحابه قد ظفروا بسُمَيريّتين ، فأمره بالرجوع لتحريك الرّجَالة ، فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً ، حتى أصيب مفلح بسهم غَرَبٍ لا يُعرف الرامى به ، ووقعت الهزيمة ، وقَوىَ الزنج على أهل حربهم ، فنالوهم بما نالوهم به من القتل ، ووافى الخبيث زنجه بالرءوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوْها بين يديه ، فكثرت الرءوس يومئذ حتى ملأت كلّ شىء ، وجعل الزّنج يقتسمون لحوم التقلى ويتهادونّها بينهم .

وفى هذه السنة وقع الوباء فى الناس فى كور دِجْلة ، فهلك فيها خَلْق كثير فى مدينة السَّلام وسامُرّا وواسط وغيرها .

(١) س : «يرادهم» .

ذكر خبر أسر يحيى بن محمد البحرانىّ ثم قتله

وفيها أسِر يحيى بن محمد البحرانىّ صاحب قائد الزّنج ، وفيها قُتِل.

ذكر الخبر عن أسره وقتله وكيف كان ذلك :

ذُكِر عن محمد بن سمعان الكاتب أنه قال : لمّا وافَى يحيى بن محمد نهر العباس ، لقيه بفُوّهة النهر ثلثمائة وسبعون فارسًا من أصحاب أصغجون العامل - كان عامل الأهواز فى ذلك الوقت ، كانوا مرتَّبين فى تلك الناحية - فلما بصر بهم يحيى استقلّهم ، ورأى كثرة مَنْ معه من الجمع مما لا خوف عليه معهم . فلقيتهم أصحابه غير مستجنّين بشىء يردّ عنهم عاديتَهم ، ورشقتهم أصحابُ أصغجون بالسهام ، فأكثروا الجراح فيهم . فلمّا رأى ذلك يحيى عبّر إليهم عشرين ومائة فارس كانت معه ، وضمّ إليهم من الرّجال جمعًا كثيرًا ، وإنحاز أصحاب أصغجون عنهم ، وولج البحرانىّ ومَنْ معه نهر العباس ؛ وذلك وقت قلّة الماء فى النهر ، وسفنُ القَيْروانات جانحة على الطين . فلما أبصر أصحابُ تلك السفن بالزّنج تركوا سفنَهم ، وحازها الزّنج ، وغنموا ما كان فيها غنائم عظيمة جليلة ، ومضْوا بها متوجّهين نحو البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناة ، وتركوا الطريق النّهج ، وذلك للتحاسد الذى كان بين البحرانىّ وعلىّ بن أبان المهلبىّ . وإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألاّ يسلك الطريق الذى يمرّ فيها بعسكر علىّ ، فأصغى إلى مشورتهم ، فشرعوا له الطريق المؤدى إلى البطيحة التى ذكرنا ، فسلكها حتى ولج البطيحة ، وسرّح الخيل التى

كانت معه ، وجعل معها أبا الليث الأصبهانىّ ، وأمره بالمصير بها إلى عسكر قائد الزّنج . وكان الخبيث وجّه إلى يحيى البحرانىّ يعلمه ورودَ الجيش الذى ورد عليه ، ويأمره بالتحرّز فى منصرفه من أن يلقاه أحدٌ منهم ، فوجّه البحرانىّ الطلائع إلى دجْلة ، فانصرفت طلائعه وجيش أبى أحمد منصرف من الأُبُلّة إلى نهر أبى الأسد ، وكان السبب فى رجوع الجيش إلى نهر أبى الأسد ، أنّ رافع بن بِسطام وغيره من مجاوري نهر العباس وبطيحة الصّحْناة كتبوا إلى أبى أحمد يعرّفونه خبر البحرانىّ وكثرة جمعه ، وأنه يقدّر أن يخرج من نهر العباس إلى دِجْلة ، فيسبق إلى نهر أبى الأسد ويعسكر به ، ويمنعه المِيرة ، ويحولُ بينه وبين من يأتيه أو يصدر عنه ؛ فرجعت إليه طلائعهُ بخبره ، وعظم أمر الجيش عنده ، وهيبته منه ؛ فرجع فى الطريق الذى كان سلكه بمشقة شديدة نالتهْ ونالت أصحابه ، وأصابهم وباء من تردُدهم فى تلك البطيحة ، فكثر المرض فيهم . فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدّمته ، فمضى يقود أوائل الزّنج ، وهم يجرّون سفنَهم ، يريدون الخروج من نهر العباس ، وفى النهر للسلطان شذوات وسميريات تحمى فوّهته من قبل أصغجون ، ومعها جَمْعٌ من الفُرْسان والرّجالة ، فراعه وأصحابه ذلك ، فخلَّوْا سفنهم ، وألقَوْا أنفسَهم فى غربىّ نهر العباس ، وأخذوا على طريق الزّيدان ماضين نحو عسكر الخبيث ، ويحيى غارّ بما أصابهم ، لم يأته علم شىء من خبرهم ، وهو متوسّط عسكره ، قد وقف على قنطرة قُورج العباس فى موضع ضيّق تَشتدّ فيه جرية الماء ، فهو

مشرف على أصحابه الزّنج ، وهم فى جرّ تلك السفن التى كانت معهم ، فمنها ما يغرق ، ومنها ما يسلم .

قال محمد بن سمعـان : وأنا فى تلك الحال معه واقف ، فأقبل علىّ متعجّباً من شدّة جرية الماء وشدّة ما يلقى أصحابه من تلقّيه بالسفن ، فقال لى : أرأيتَ لو هجم علينا عـدوّنا فى هذه الحـال ، مَنْ كان أسـوأ حالاً منا! فمـا انقضى كلامُه حتى وافاهَ طـاشتمر التركّ فى الجـيش الذى أنقذه إليهـم أبو أحمد عـند رجوعه من الأبُلّة إلـى نهر أبى الأسـد ، ووقعت الضّجّة فى عسكره .

قال محمـد : فنهضت مُتشوقًا للنظر ؛ فإذا الأعلام الحـمر قد أقبلتْ فى الجـانب الغربىّ من نهـر العبـاس ويحيى به ؛ فلمـا رآها الزّنج ألقَوْا أنفسهم فى الماء جملة ، فعبروا إلى الجانب الشرقىّ ، وعرىَ الموضع الذى كان فيه يحـيى ، فلم يبق معه إلا بضعة عشـر رجلاً ، فنهض يحيى عند ذلك ، فأخذ درقتَه وسيـفه ، واحتزم بمنديل ، وتلقّى القوم الذين أتوْه فى النفر الذين مـعه ، فرشقـهم أصحاب طاشتـمر بالسهام ، وأسـرع فيهم الجراح ، وجرح البحرانىّ بأسهم ثلاثـة فى عَضُدْيه وساقه اليسرى . فلما رآه أصحابه جريحًا تفرّقوا عنه ، فلم يعرَف فيقصد له . فرجع حتى دخل بعض تلك السفن ، وعَبَر به إلى الجانب الشرقىّ من النهر ؛ وذلك وقت الضحى من ذلك الـيوم ، وأثقَلت يحيى الجـراحات التى أصـابتْه ، فلما رأى الزّنج ما نزل به اشتدّ جزعهم ، وضعـفت قلوبهم ، فتركوا القتال . وكانت همّتـهم النجاة بأنـفسهم ، وحـاز أصحـاب السلطان الغنّائم التى

كانت فى السفن بالجانب الغربىّ من النهر ؛ فلما حَوَوْها أقعدوا فى بعض تلك السفن النّفاطين ، وغبّروهم إلى شرقىّ النهر ، فأحرقوا ما كان هناك من السفن التى كانت فى أيدى الزّنج ، وانفضّ الزَّنج عن يحيى ، فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل فيهم ذريع ، وأسر كثير ؛ فلمّا أمسوا وأسدف الليل طارُوا على وجوههم ، فلما رأى يحيى تفرّق أصحابه ، ركب سُمَيريّة كانت لرجل من المقاتلة البِيضان ، وأقعَد معه فيها متطبّبًا يقال له عبّاد يعرف بأبى جيش ؛ وذلك لمّا كان به من الجراح ، وطمع فى التخلّص إلى عسكر الخبيث ، فسار حتى قرب من فُوّهة النهر ، فبصُر ملاحو السميريّة بالشذا والسميريّات واعتراضها فى النهر ، فجزعوا من المرور بهم ، وأيقنوا أنهم مدركون ، فعبروا إلى الجانب الغربىّ ، فألقَوْه ومَنْ معه على الأرض فى زرع كان هناك ، فخرج يمشى وهو مثقَل ؛ حتى ألقى نفسه ، فأقام بموضعه ليلَته تلك ، فلما أصبح بموضعه ذلك نهض عبّاد المتطبّب الذى كان معه ، فجعل يمشى متشوفًا لأن يرى إنسانًا ، فرأى بعض أصحاب السلطان ، فأشار إليهم فأخبرهم بمكان يحيى ، وأتاه بهم حتى سلّمه إليهم .

وقد زعم قوم أنّ قومًا مرُّوا به ، فرأوه فدلّوا عليه ، فأخِذ . فانتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزَّنج ، فاشتدّ لذلك جزعه ، وعظم عليه توجْعه .

ثم حمِل يحيى بن محمد الأزرق البحرانىّ إلى أبى أحمد ، فحمله أبو أحمد إلى المعتمد بسامُرّا ، فأمر ببناء دكة بالحَيْر ، بحضرة مجرى الحلبة فبُنيت ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط .

وذُكر أنه دخل سامرًا يوم الأربعاء لتسع خلوْن من رجب على جمل، وجلس المعتمد من غدِ ذلك اليوم - وذلك يوم الخميس - فضُرب بين يديه مائتى سوط بثمارها ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خُبط بالسيوف ثم ذُبح ثم أحرق .

قال محمد بن الحسن : لمّا قُتِل يحيى البحرانىّ وانتهى خبره إلى صاحب الزّنج ، قال : عَظُم علىّ قتله ، واشتدّ اهتمامى به ، فخوطبتُ فقيل لى: قتلُه خير لك ، إنه كان شرهًا . ثم أقبل على جماعة كنت أنا فيهم ، قال . ومنْ شرهه أنا غنمنا غنيمة من بعض ما كنّا نصيبه ، فكان فيه عقدان ، فوقعا فى يد يحيى ، فأخفى عنى أعظمهما خطرًا ، وعرض علىّ أخسهما ، واستوهبنيه فوهبته له ، فرُفع[1] لى العقد الذى أخفاه ، فدعوته فقلت : أحضِرنى العقد الذى أخفيتَه ، فأتانى بالعقد الذى وهبتُه له، وجحد أن يكون أخذه غيره ، فرُفِع لى العقد ، فجعلت أصفه وأنا أراه ، فبُهت ، وذهب فأتانى به ، واستوهبنيه فوهبتُه له ، وأمرته بالاستغفار .

وذكر عن محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدّثه أنّ قائد الزنج قال لى فى بعض أيامه : لقد عُرِضَتْ علىّ النبوّة فأبيتُها ، فقلتُ : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنْ لها أعباء خفت ألاّ أطبق حملها !

(١) س : «فوقع» .

خبر الزلزال :

ولعشر خلون من شعبان كانت هدَّة صعبة هائلة بالصَّيْمَرة ، ثم سُمع من غد ذلك اليـوم وذلك يوم الأحد ، هدّة هى أعظم من الـتى كانت فى اليوم الأول ، فتهدّم من ذلك أكـثر المدينة ، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها - فيما قيل - زهاء عشرين ألفًا .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين .

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .

فمن ذلك منصرف أبى أحمد بن المتوكل من واسط ، وقدومه سامُرّا يوم الجمـعة لأربع بقين من شـهر ربيع الأول ، واسـتخلافـه على واسط وحرب الخبيث بتلك الناحية محمدًا المولَّد .

❁ ❁ ❁

الفصل السادس

ذكر الخبر عن السبب

الذى من أجله تهيأ للزنج دخول واسط

ذكر الخبر عن الأحداث الجليلة فى سنة أربع وستين ومائتين:

ذُكِر أن الجُبّائىّ يحيى بن خلف لمّا شخص سليمان بن جامع من معسكره بعد الوقعة التى أوقعها بتكين إلى صاحب الزّنج ، خرج فى السّمَيريّات بالعسكر الذى خلّفه سليمان معه إلى مازروان لطلب المِيرة ، ومعه جماعة من السودان ، فاعترضه أصحاب جُعْلان ، فأخذوا سفنًا كانتْ معه ، وهزموه ، فرجع مفلولاً حتى وافَى طهيثا ، ووافتْه كتبِ أهل القرية ؛ يخبرونه أنّ منجور مولى أمير المؤمنين ومحمد بن علىّ بن حبيب اليشكرىّ لما اتّصل بهما خبر غيبة سليمان بن جامع عن طَهيثا ، اجتمعا وجمعا أصحابهما ، وقصدا القرية ، فقتلا فيها وأحرقا وانصرفا ، وجلا من أفلت ممن كان فيها ، فصاروا إلى القرية المعروفة بالحجّاجية ، فأقاموا بها . فكتب الجُبَائىّ إلى سليمان بخبر ما وردت به كُتب أهل القرية ، مع ما ناله من أصحاب جُعّلان ، فأنهض قائد الزّنج سليمان إلى طهيثا معجّلا ، فوافاها ، فأظهر أنه يقصد لقتال جُعْلان ، وعبّأ جيشه ، وقدّم الجبائىّ أمامه فى السميريّات ، وجعل معه خيلاً ورجلاً ، وأمره بموافاة مازروان والوقوف بإزاء عسكر جُعْلان ، وأنْ يظهر الخيل ويرعاها بحيث يراها أصحاب جُعْلان ، ولا يُوقع بهم ، وركب هو فى جيشه أجمع إلا

نفراً يسيراً خلّفهم فى عسكره ، ومضى فى الأهواز حتى خرج على الهورَيْن المعروفين بالربَّة والعمرقة . ثم مضى نحو محمد بن علىّ بن حبيب ، وهو يومئذ بموضع يقال له تلّفَخَّار ، فوافاه فأوقع به وقعةً غليظة، قتل فيها قتلى كثيرة ، وأخذ خيلاً كثيرة وحاز غنائم جزيلة ، وقتل أخا لمحمد بن علىّ ، وأفلت محمد ، ورجع سليمان ، فلما صار فى صحراء بين البزّاق والقرية وافته خيل لبنى سليمان ، وقد كان فيمن أصاب سليمان بتلّفخّار سيد من سادات بنى شيبان ، فقتله وأسر ابنًا له صغيراً ، وأخذ حِجْرًا كانت تحته ، فانتهى خبره إلى عشيرته ، فعارضوا سليمان بهذه الصحراء فى أربعمائة فارس . وقد كان سليمان وجّه إلى عُمير بن عمار خليفته بالطفّ حين توجّه إلى ابن حبيب ، فصار إليه ، فجعله دليلاً لعلمه بتلك الطريق . فلمّا رأى سليمان خيل بنى شيبان قدّم أصحابه أجمعين إلاّ عمير بن عمار فإنه انفرد ، فظفرت به بنو شيبان فقتلوه ، وحملوا رأسه ، وانصرفوا .

وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فعظُم عليه قتل عُمير ، وحمل سليمان إلى الخبيث ما كان أصاب من بلد محمد بن علىّ بن حبيب ؛ وذلك فى آخر رجب من هذه السنة . فلما كان فى شعبان نهض سليمان فى جَمْع من أصحابه ؛ حتى وافى قرية حسان ، وبها يومئذ قائد من قوّاد السلطان يقال له جيْش ابن حمرتكين ، فأوقع به ، فأجفل عنه ، وظفر بالقرية فانتهبها ، وأحرق فيها وأخذ خيلاً ، وعاد إلى عسكره . ثم خرج لعشر خلوْن من شعبان إلى الحوانيت ، وأصعد الجبائىّ فى السميريّات إلى

برمساور ، فوجد هنالك صلاغاً فيها خيل من خيل جُعلان ، كان أراد أن يوافى بها نهر أبان . وقد كان خرج إلى ما هناك متصيّداً ، فأوقع الجبائىّ بتلك الصلاغ ، فقتل مَنْ فيها ، وأخذ الخيل - وكانت اثنى عشر فرساً - وعاد إلى طَهيثا . ثم نهض سليمان إلى تلّ رمانا ، لثلاث بقين من شعبان فأوقع بها ، وجلا عنها أهلها ، وحاز ما كان فيها ،. ثم رجع إلى عسكره ، ونهض لعشر ليال خَلْون من شهر رمضان إلى الموضع المعروف بالجازرة ، وأبًا يومئذ هناك ، وجُعْلان بمازروان .

وقد كان سليمان كتب إلى الخبيث فى التوجيه إليه بالشّذا ، فوجّه إليه عشر شذوات ، مع رجل من أهل عبَّادان يقال له الصقر بن الحسين ، فلمّا وافى سليمان الصقّر بالشذًا أظهر أنه يريد جُعْلان ، وبادرت الأخبار إلى جُعْلان بأن سليمان يريد موافاته ؛ فكانت همّته ضبط عسكره . فلما قَرُب سليمان من موضع أبّا مال إليه ، فأوقع به ، وألفاه غارًا بمجيئه ، فنال حاجته ، وأصاب ستّ شذَوات .

قال محمد بن الحسن : قال جبّاش : كانت الشّذَوات ثمانية ، وجدها فى عسكره ، وأحرق شذاتين كانتَا على الشطّ ، وأصاب خيلاً وسلاحاً وأسلاباً ، وانصرف إلى عسكره ، ثم أظهر أنه يريد قصد تكين البخارىّ ، وأعدّ مع الجبائىّ وجعفر بن أحمد خال ابن الخبيث الملعون المعروف بأنكلاى سفنا . فلما وافت السفن عسكر جُعْلان ، نهض إليها، فأوقع بها ، وحازها وأوقع سليمان من جهة البرّ ، فهزمه إلى الرُّصافة ،

واسترجع سفنه ، وحاز سبعة وعشرين فرسًا ومهرين من خيل جُعْلان وثلاثة أبغل ، وأصاب نهباً كثيراً وسلاحًا ، ورجع إلى طَهيثا .

قال محمد : أنكر جبّاش أن يكون لتكين فى هذا الموضع ذكر ، ولم يعرف خير العبادانىّ فى تكين ، وزعم أنّ القصد لم يكن إلاّ إلى جُعْلان، وقد كان خبره خفىَ على أهل عسكر حتى أرجفوا بأنه قد قُتِل وقتل الجبّائىّ معه ، فجزعوا أشدّ الجزع ، ثم ظهر خبره وما كان منه من الإيقاع بجعلان ، فسكنوا وقرّوا إلى أن وافَى سليمان ، وكتب بما كان منه إلى الخبيث ، وحمل أعلامًا وسلاحًا ، ثم صار سليمان إلى الرُّصافة فى ذى القعدة ، فأوقع بمطر بن جامع ، وهو يومئذ مقيم بها ، فغنم غنائم كثيرة ، وأحرق الرّصافة ، واستباحها ، وحمل أعلاماً إلى الخبيث ، وانحدر لخمس ليالٍ خلون من ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين إلى مدينة الخبيث ، فأقام ليعيّد هناك ويقيم فى منزله ، ووافى مطر بن جامع القرية المعروفة بالحجّاجية ، فأوقع بها ، وأسر جماعةً من أهلها . وكان القاضى بها من قبَل سليمان رجلاً من أهلها يقال له سعيد بن السيد العدوىّ ، فأسِر وحُمِل إلى واسط هو وثعلب بن حفص وأربعة قوّاد كانوا معه ، فصاروا إلى الحرجليّة على فرسخَين ونصف من طهيثا ، ومضى الجبائىّ فى الخيل والرجُل لمعارضة مطر ، فوافى الناحية وقد نال مطر ما نال منها ، فانصرف عنها ، وكتب إلى سليمان بالخبر ، فوافى سليمان يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة من هذه السنة ، ثم صرف جُعْلان، ووافى أحمد بن ليثويه ، فأقام بالشديديّة ، ومضى سليمان إلى

موضع يقال له نهـر أبان ، فوجد هناك قائداً من قوّاد ابن ليـثويه يقال له طُرْناج ، فأوقع به وقتله .

قال محـمد : قال جبّاش : المقتول بهـذا الموضع بينَك ، فأما طُرْناج فإنه قتِل بمازروان ، ثم وافى الرّصافة ، وبها يومئذ عسكر مطر بن جامع ، فأوقع به ، فاستباح عسكره ، وأخذ منه سبع شَذَوات ، وأحرق شَذَاتين ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين .

قال محمد : قال جبّاش : كانت هذه الوقعة بالشديديّة ، والذى أخذ يومئذ ستُ شذوات ، ثم مضى سليمـان فى خمس شذَوَات ، ورتّب فيها صناديد قوّاده وأصحابه ، فواقعـه تكين البخاريّ بالشديديّة ، وقد كان ابن ليثويه حينئذ صار إلى ناحية الكوفة وجُنُبلاء ، فظهر تكين على سليمان ، وأخذ منه الشذّوات التى كانت معه بآلتها وسـلاحها ومقاتلتها ، وقتِل فى هذه الوقعة جِلّة قوّاد سليمان .

ثم زحف ابن ليـثويه إلى الشـديديّة ، وضـبط تلك النواحى إلى أن ولّى أبو أحمد محمّدًا المولّد واسطًا .

قال مـحمد : قـال جبّاش : لمّا وافَى ابن ليثـويه الشديديّة سـار إليه سليمـان ، فأقام يومين يقـاتله ، ثم تطارد له سليمان فى اليـوم الثالث ، وتبعه ابن ليثويـه فيمن تسرّع معه ، فرجع إليه سليـمان ، فألقاه فى فوّهة برذودا ، فتخلص بعد أن أشفى عل الغرق . وأصاب سليمان سبع عشرة دابة من دوابّ ابن ليثويه .

قال : وكتب سليمان إلى الخبيث يستمدّه ، فوجّه إليه الخليل بن أبان فى زُهاء ألف وخمسمائة فارس ، ومعه المذوّب ، فقصد عند موافاة هذا المدد إياه لمحاربة محمد المولَّد ، فأوقع به فهرب المولَّد ، ودخل الزّنج واسطًا ، فقتل بها خلْق كثير ، وانتهبت وأحرقت ، وكان بها إذ ذاك كنجور البخاريّ ، فحامى يومه ذلك إلى وقت العصر ، ثم قتل . وكان الذى يقود الخيل يومئذ فى عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالمذوّب . وكان الجُبّائىّ فى السميريّات ، وكان الزنجىّ بن مهربان فى الشَّذَوات ، وكان سليمان بن جامع فى قوّاده من السودان ورجّالته منهم ، وكان سليمان بن موسى الشعرانىّ وأخواه فى خيله ورجْله مع سليمان بن جامع ؛ فكان القوم جميعاً يدًا واحدة . ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط ، ومضى بجميع الجيش إلى جُنْبُلاء ليعيث ويخرب ، ووقع بينه وبين الخليل بن أبان اختلافٌ ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه علىّ بن أبان ، فاستعفى له قائد الزنج من المُقام مع سليمان ، وأذن للخليل بالرجوع إلى مدينة الخبيث مع أصحاب علىّ بن أبان وغلمانه ، وتخلّف المذوَّب فى الأعراب مع سليمان ، وأقام بمعسكره أيامًا ، ثم مضى إلى نهر الأمير ، فعسكر به ، ووجّه الجبائىَّ والمذوّب إلى جُنْبُلاء ، فأقاما هنالك تسعين ليلة ، وسليمان معسكر بنهر الأمير .

قال محمد : قال جبّاش : كان سليمان معسكراً بالشديديّة .

* * *

ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين .

وفيها دخل أصحاب قائد الزنج رَامَهُرْمُزَ .

ذكر الخبر عن سبب مصيرهم إليها :

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر محمد بن عبيد الله الكرديّ وعليّ بن أبان صاحب الخبيث ، حين تلاقَيا على صلْح منهما ، فذُكر أنّ عليًا كان قد احتجن على محمد ضِغْنًا فى نفسه ، لما كان فى سفره ذلك ؛ وكان يرصده بشرّ ، وقد عرف ذلك منه محمد بن عبيد الله ، وكان يروم النَّجاة منه ؛ فكاتبَ ابنَ الخبيث المعروف بأنكلاى ، وسأله مسألة الخبيث ضمّ ناحيته إليه لتزول يد عليّ منه ، وهاداه ، فزاد ذلك عليّ بن أبان عليه غيظًا وحَنَقًا ، فكتب إلى الخبيث يعرّفه به ، ويصحّح عنده أنه مصرّ على غدره ، ويستأذنه فى الإيقاع به ، وأن يجعل الذّريعة إلى ذلك مسألته حمَل خراج ناحيته إليه ، فأذن له الخبيث فى ذلك ، فكتب عليّ إلى محمد بن عبيد الله فى حَمْل المال ، فلواه به ، ودافعه عنه ، فاستعدّ له عليّ ، وسار إليه ، فأوقع برامهرمُز ، ومحمدُ بن عبيد الله يومئذ مقيمٌ بها ، فلم يكن لمحمد منه امتناع ، فهرب ودخل عليّ رامهرمُز ، فاستباحها ، ولحق محمد بن عبيد الله بأقصى معاقله من أربَقّ والبيلم ، وانصرف عليّ غانماً ، وراع ما كان من ذلك من عليّ محمداً ، فكتب يطلب المسألة ، فأنهى ذلك عليّ إلى الخبيث ، فكتب إليه يأمره بقبول

ذلك ، وإرهاق محمد يحمّل المال ، فحمل محمد بن عبيد الله مائتى ألف درهم ، فأنفذها علىّ إلى الخبيث ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وعن أعماله .

* * *

ذكر الخبر عن وقعة أكراد داربان مع صاحب الزنج

وفيها كانت وقعةٌ لأكراد الداربان مع زنْج الخبيث ، هُزِموا فيها وقُتِّلوا.

ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذُكر عن محمد بن عبيد الله بن أزارْمَرْد أنه كتب إلى علىّ بن أبان بعد حمله إليه المالَ الذى ذكرنا مبلغه قبلُ ، وكفٍّ علىّ عنه وعن أعماله ، يسأله المعونة على جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان ، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم . فكتب علىّ إلى الخبيث يسأله الإذن له فى النهوض لذلك ، فكتب إليه أن وجِّه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب ، وأقِمْ أنت ، ولا تنفُذ جيشك حتى تتوثّق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون فى يدك منه ، تأمن بها من غدره فقد وترتَه ، وهو غير مأمون على الطلب بثأره . فكاتب علىٌّ محمّدَ بن عبيد الله بما أمره به الخبيث ، وسأله الرهائن ، فأعطاه محمد بن عبد الله الأيمان والعهود ، ودافعه على الرهائن ، فدعا عليًّا الحِرْصُ على الغنائم التى أطمعه فيها محمد بن عبيد الله إلى أن أنفذ الجيش ، فساروا ومعهم رجال محمد بن

عبيد الله ، حتى وافوا الموضع الذى قصدوا له ، فخرج إليهم أهله ، ونشبت الحرب ، فظهر الزّنج فى ابتداء الأمر على الأكراد ، ثم صدّقهم الأكراد ، وخذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله ، فتصدّعوا وانهزموا مغلولين مقهورين ؛ وقد كان محمد بن عبيد الله أعدّ لهم قومًا أمرهم بمعارضتهم إذا انهزموا ، فعارضوهم وأوقعوا بهم ، ونالوا منهم أسلابًا ، وأرجلوا طائفة منهم عن دوابّهم فأخذوها ، فرجعوا بأسوإ حال، فكتب المهلبىّ إلى الخبيث بما نال أصحابه ، فكتب إليه يعنّفه ، ويقول : قد كنتُ تقدّمت إليك ألاّ تركن إلى محمد بن عبيد الله ، وأن تجعل الوثيقة بينك وبينه الرّهائن ، فتركتَ أمرى ، واتبعتَ هواك ، فذاك الذى أرداك وأردى جيشك .

وكتب الخبيث إلى محمد بن عبيد الله ، أنه لم يخف علىّ تدبيرُك على جيش علىّ بن أبان ، ولن تعدم الجزاء على ما كان منك .

فارتاع محمد بن عبيد الله مما ورد به عليه كتاب الخبيث ، وكتب إليه بالتضرّع والخضوع ، ووجّه بما كان أصحابه أصابوا من خيل أصحاب علىّ حيث عورضوا وهم منهزمون ، فقال : إنى صرتُ بجميع مَنْ معى إلى هؤلاء القوم الذين أوقعوا بالخليل وبَهْبُوذ ، فتوعّدتهم وأخفتهم ، حتى ارتجعت هذه الخيل منهم ، ووجهّت بها . فأظهر الخبيث غضبًا ، وكتب إليه يتهدده بجيش كثيف يرميه به ، فأعاد محمد الكتاب بالتضرّع والاستكانة ، فأرسل إلى بَهْبُوذ ، فضمن له مالاً ، وضمن لمحمد بن يحيى الكِرمانىّ مثل ذلك ، ومحمد بن يحيى يومئذ الغالب على علىّ بن

أبان ، والمصرّف له برأيه ، فصار بَهْبُوذ إلى علىّ بن أبان ، وظاهره محمد بن يحيى الكرْمانىّ على أمره حتى أصلحا رأى عليّ فى محمد بن عبيد الله وسلاَّما فى قلبه من الغَيْظ والحَنَق عليه ، ثم مضيا إلى الخبيث . ووافق ذلك ورودُ كتاب محمد بن عبيد الله عليه ، فصوّبا وصعّدا حتى أظهر لهما الخبيث قبولَ قولهما، والرجوعَ لمحمد بن عبيد الله إلى ما أحبّ، وقال: لست قابلاً منه بعد هذا إلا أن يَخطب لى على منابر أعماله .

فانصرف بَهْبُوذ والكرمانىّ بما فارقهما عليه الخبيث ، وكتبا به إلى محمد بن عبيد الله ، فأصدر جوابه إلى كلّ ما أراده الخبيث ، وجعل يُراوغ عن الدّعاء له على المنابر . وأقام علىّ بعد هذا مدّة ، ثم استعدّ لمَتّون ، وسار إليها ؛ فرامها فلم يطقها لحصانتها وكثرة مَنْ يدافع عنها من أهلها ، فرجع خائبًا ، فاتّخذ سلاليم وآلات ليرقى بها السور ، وجمع أصحابه واستعدّ . وقد كان مسرور البلخىّ عرف قصدَ علىًّ مَتُّوث ، وهو يومئذ مقيمٌ بكُور الأهواز . فلما عاود المسيرَ إليها ، سار إليه مسرور ، فوافاه قبيل غروب الشمس ، وهو مقيم عليها ؛ فلما عاين أصحاب علىّ أوائل خيل مسرور ، انهزموا أقبحَ هزيمة ، وتركوا جميع آلاتهم التى كانوا حملوها ، وقتِل منهم جمع كثير ، وانصرف علىّ بن أبان مدحوراً ، ولم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى تتابعت الأخبار بإقبال أبى أحمد ، ثم لم يكن لعلىّ بعد رجوعه من متُّوث وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهيثا على أبى أحمد ، فانصرف بكتاب ورد عليه من الخبيث يحفِزه فيه حفزاً شديدًا بالمصير إلى عسكره .

الفصل السابع

ذكر خبر غلبة أبى العباس بن الموفق على سليمان بن جامع

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

وفيها غلب أبو العباس بن الموفّق على عامة ما كان سليمان بن جامع صاحب قائد الزنج غلب عليه من قرى كور دجلة كَعَبْدَ سِى ونحوها .

ذكر الخبر عن سبب غلبة أبى العباس على ذلك ، وما كان من أمره وأمر الزّنج فى تلك الناحية :

ذكر محمد بن الحسن أنّ محمد بن حماد حدّثه أن الزَّنج لمّا دخلوا واسطًا وكان منهم بها ما قد ذكرناه قبلُ ، واتَّصل الخبر بذلك إلى أبى أحمد بن المتوكل ندب ابنَه أبا العباس للشخوص إلى ناحية واسط لحرب الزّنج ، فخفّ لذلك أبو العباس . فلما حضر خروج أبى العباس ركب أبو أحمد إلى بستان موسى الهادى فى شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين ، فعرض أصحاب أبى العباس ، ووقف على عدّتهم ؛ فكان جميع الفرسان والرّجّالة عشرة آلاف رجل فى أحسن زِىّ وأجمل هيئة وأكمل عِدّة ، ومعهم الشَّذا والسُّمَيريّات والمعابر للرجّالة ؛ كل ذلك قد أحكمت صنعته . فنهض أبو العباس من بستان الهادى ، وركب أبو أحمد مشيِّعًا له حتى نزل الفِرْك ، ثم انصرف . وأقام العباس بالفِرْك

أيامًا ، حتى تكاملت عُدده ، وتلاحق أصحابه ، ثم رحل إلى المدائن ، وأقام بها أيضًا ، ثم رحل إلى دير العَاقُول .

قال محمد بن حمّاد : فحدّثنى أخى إسحاق بن حماد وإبراهيم بن محمد بن إسماعيل الهاشمىّ المعروف بـبُريه ، ومحمد بن شعيب الاشتيام، فى جماعة كثيرة ممن صحب أبا العباس فى سفره - دخل حديث بعضهم فى حديث بعض - قالوا : لمّا نزل أبو العباس دير العاقول ، ورد عليه كتاب نُصير المعروف بأبى حمزة صاحب الشذّا والسمَيريّات ، وقد كان أمضاه على مقدمّته ، يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافَى فى خيل ورجّالة وشذوات وسميريّات ، والجبائىّ يقدمه ، حتى نزل الجزيرة التى بحضرة بردودا ، وأن سليمان بن موسى الشعرانىّ قد وافى نهر أبان برجّالة وفرسان وسُميريّات . فرحل أبو العباس حتى وافى جَرْجَرَايا ، ثم فم الصِّلْح ، ثم ركب الظهر ، فسار حتى وافى الصِّلح ، ووجّه طلائعه ليعرف الخبر ، فأتاه منهم مَنْ أخبره بموافاة القوم وجمعهم وجيشهم ، وأن أولهم بالصِّلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا ، أسفلَ واسط . فلما عرف ذلك عدل عن سُنن الطريق ، واعترض فى مسيره ، ولقى أصحابه أوائل القوم ، فتطاردوا لهم حتى طمعوا واغترّوا ، فأمعنوا فى إتباعهم ، وجعلوا يقولون لهم : اطلبوا أميرًا للحرب ؛ فإنّ أميركم قد شغَل نفسَه بالصيد . فلمّا قَرُبوا من أبى العباس بالصِّلْح ، خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرّجْل ، وأمر فصيح بنُصير : إلى أين تتأخر عن هؤلاء الأكلب! ارجع إليهم ؛ فرجع نُصير إليهم .

وركب أبو العباس سُميـرّية ، ومعه محمد بن شعـيب الاشتيام ، ، وحفّ بهم أصحابه من جميع جهاتهم ، فانهزموا ، ومنح الله أبا العباس وأصحابَه أكـتافهم ، يقتلونهم ويطردونهم ؛ حتى وافَوْا قـرية عبد الله ؛ وهى على ستة فراسخ من الموضع الذى لَقُوهم فـيه ، وأخذوا منهم خمس شَذَوات وعـدّة سُميـريّات ، واستـأمن منهم قوم ، وأسِر منهم أسـرى ، وغرق مـا أدرك من سفنهم ؛ فكان ذلك أوّلَ الفتح على العـباس بن أبى أحمد .

ولما انقـضت الحربُ فى هذا اليـوم ، أشار على أبى العـباس قـوّاده وأولياؤه ، أن يجعل معـسكَرَهُ بالموضع الذى كان انتهى إليه من الصّلح ؛ إشفاقًا عليه من مقاربة القوم ، فأبى إلاّ نُزول واسط .

ولما انهـزم سليمـان بن جامع ومَنْ مـعه ، وضرب اللهُ وجـوهَهم ، انهـزم سليمـان بن موسى الشـعرانىّ عن نهـر أبان ؛ حتى وافـى سوق الخميس ، ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير ؛ وقد كان القوم حين لقوا أبا العـبـاس أجالُوا الرّأى بينهـم ، فقـالوا : هذا فـتًى حَدَثٌ ؛ لم تطل ممارسته الحروب وتدّربه بها ، فالرّأى لنا أن نرميَه بحدّنا كلِّه ، ونجتهد فى أوّل لقية نلقـاه فى إزالته ؛ فلعلّ ذلك أن يروعه ، فيكون سببـاً لإنصرافه عنا . ففعلوا ذلك ، وحشدوا واجتـهَدوا ، فأوقع الله بهم بأسَه ونقمته ، وركب أبو العباس من غدِ يوم الوقعة ، حتى دخل واسطًا فى أحسن زىّ، وكان يوم جُمعة ، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة ، واستأمن إليه خلق كثـير ، ثم انحـدر إلى العُمْر - وهو على فرسخ من واسط - فـقدّم فـيه

عسكره ، وقال : اجعل معسكرى أسفلَ واسط ، ليأمن مَنْ فوقه الزّنج ، وقد كان نُصير المعروف بأبى حمزة والشاه بن ميكال أشارا عليه أن يجعل مُقامه فوق واسط . فامتنع من ذلك ، وقال لهما : لست نازلاً إلا العُمْر، فانزلا أنتمـا فى فُوّهة بردودا ، وأعرض أبو العباس عن مشـاورة أصحابه واسـتـماع شـىء من آرائهم ؛ فنزل العُمـر ، وأخـذ فى بناء الشّذَوات ، وجـعل يراوح القـوم القتـال ويغـاديهم ؛ وقد رتّب خـاصّة غلمـانه فى سُميـريّات فجـعل فى كلّ سميـريّة اثنين منهم ، ثم إن سليمـان استـعدّ وحشد وجمع وفرّق أصحابه فجعلهم فى ثلاثة أوجه : فرقة أتت من نهر أبان ، وفرقة من برتمرتا ، وفرقـة من بردودا ، فلقيَهم أبو العباس ؛ فلم يلبثوا أن انهزموا ، فخلفت طائـفة منهم سوق الخميس وطائفة بمازروان ، وأخذ قوم منهم فى برّتمرتا وآخرون أخذوا الماديان ، وقـوم منهم اعتصموا للقوم الذين سلكوا الماديان ؛ فلم يرجع عنهم حـتى وافى نهر بَرْمساور ، ثم انصرف ، فـجعل يقف على القُرى والمسالك ، ومعـه الأدلاّء ؛ حتى وافَى عسكره ، فأقام به مـريحاً نفسه وأصحابه . ثم أتاه مخبـرٌ فأخبره أنّ الزّنج قد جمـعوا واستعدّوا لكبس عسكـره ، وأنهم على إتيان عسكره من ثلاثة أوجه ، وأنهم قالوا : إنه حدَثٌ غِرٌّ يغرّ بنفسه ، وأجمع رأيهم على تكمين الكُمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث التى ذكرنا ، فحذر لذلك، واستعدّ له ، وأقبلوا إليه وقد كمنوا زُهاء عشرة آلاف فى برتمرتا ونحواً من هذه العدّة فى قُسّ هثـا . وقدّموا عشرين سُمـيريّة إلى العسكر ليغـترّ بها أهلُه ، ويجيزوا المواضع التى فيهـا كمناؤهم ؛ فمنع أبو العباس الناس من

أتباعــهم ؛ فلما علموا أن كيــدهم لم ينفذ ، خرج الجُبّائىّ وسليــمان فى الشَّذَوات والسميريّات ، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه ، فأمرْ نصيرًا المعروف بأبى حمزة أن يبرز للقــوم فى شذواته ، ونزل أبو العباس عن فرس كــان ركبه ، ودعا بشــذاة من شَذَواته قد كان سمــاها الغزال ، وأمر اشتيامــه محمد بن شعيب باختيار الجذّافين لهــذه الشذاة ، وركبها ، واختــار من خاصّة أصــحابه وغلمانــه جماعــة دفع إليهم الرّمــاح ، وأمر أصحاب الخــيل بالمسير بإزائه على شاطىء النهــر ، وقال لهم : لا تدعوا المسيــر ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار ، وأمــر بتعبــير بعض الذوابّ التى كانت ببردودا ، ونشبت الحرب بين الفريقين ؛ فكانت معركة القتال من حــدّ قرية الرمل إلى الرّصــافة ؛ فــكانت الهزيمة على الزَّنج ، وحــاز أصحاب أبى العباس أربع عشرة شَذَاة ، وأفلتَ سليمان والجبّائى فى ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلاك راجلِين ، وأخذت دوابّهما بحلاها وآلتها، ومضى الجيش أجــمع لا ينثنى أحد منهم حتى وافوا طهيثــا ، وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة ، ورجع أبو العباس ، وأقام بمعسكره فى العمر، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشَّذا والسمــيريّات وترتيب الرجال فيها ، وأقام الزَّنج بعد ذلك عشرين يومًا ، لا يظهــر منهم أحد . وكان الجبائىّ يجىء فى الطلائع فى كلّ ثــلاثة أيام وينصرف ، وحــفــر آباراً فوق نهــر سِنْداد ، وصيّر فيــهــا سفــافيــد حــديد ، وغشّاهــا بالبوارىّ ، وأخــفى مواضعــها، وجعلها على سَنَن مــسير الخيل ليتــهوّر فيها المجــتازون بها ؛ وكان يوافى طرف العسكر متعرضًا لأهله ، فتخرج الخيل طالبةً له ، فجاء

فى بعض أيامه ، وطلبته الخيل كما كانت تطلبه ، فقطر فرس رجل من قوّاد الفراعنة فى بعض تلك الآبار ، فوقف أصحاب أبى العباس بما ناله من ذلك على ما دبّر الجُبائىّ ، فحذروا ذلك ، وتنكّبوا سلوك ذلك الطريق ، وألحّ الزّنج فى مغاداة العسكر فى كلّ يوم للحرب ، وعسكروا بنهر الأمير فى جمع كثير ؛ فلمّا لم يجد ذلك عليهم أمسكوا عن الحرب قَدْر شهر .

وكتب سليمان إلى صاحب الزّنج يسأله إمداده بسُميريّات ، فكلّ واحدة منهنّ أربعون مجدافًا ، فوافاه من ذلك فى مقدار عشرين يومًا أربعون سُميريّة ، فى كل سُميريّة مقاتلان ، ومع ملاحيها السيوف والرماح والتّراس ، وجعل الجُبائىّ موقفه حيال عسكر أبى العباس ، وعاودُوا التعرّض للحرب فى كلّ يوم ؛ فإذا خرج إليهم أصحاب أبى العباس انهزموا عنهم ، لم يثبتوا لهم ؛ وخلال ذلك ما تأتى طلائعهم ، فتقطع القناطر ، وترمى ما ظهر لها من الخيل بالنّشاب ، وتضرِم ما وجدت فى النوبة من المراكب التى مع نصير بالنار ؛ فكانوا كذلك قدر شهرين .

ثم رأى أبو العباس أن يكمُن لهم كمينًا فى قرية الرمل ، ففعل ذلك، وقدّم لهم سُميريّات أمام الجيش ليطمعوا فيها ، وأمر أبو العباس فأعِدّت له سُميريّة ولزيرَك سميريّة وحمل جماعة من غلمانه الذين اختارهم، وعرفهم بالنجدة فى السميريّات ، فحمل بدراً ومؤنسًا فى سُميريّة ورشيقًا الحجّاجىّ ويُمْنًا فى سميريّة وخَفيفاً ويُسرًا فى سميريّة ،

ونذيرًا ووصيفًا فى سُميريّة ؛ وأعدّ خمس عشرة سُميريّة ، وجعل فى كلّ سميريّة مقاتلين ، وجعلها أمام الجيش .

* * *

قال محمد بن شعيب الاشتيام : وكنتُ فيمن تقدّم يومئذ ، فأخذ الزّنج من السميريّات المتقدّمة عدّة ، وأسروا أسرى ، فانطلقتُ مسرعًا ، فناديتُ بصوت عال : قد أخذ القوم سُميريّاتنا . فسمع أبو العباس صوتى وهو يتغدّى ، فنهض إلى سُميريّته التى كانت أعدّت له ؛ وتقدّم العسكر، ولم ينتظر لحاق أصحابه ، فتبعه منهم من خفّ لذلك .

قال : فأدركنا الزّنج ، فلمّا رأونا قذف الله الرّعب فى قلوبهم ، فألقوا أنفسهم فى الماء ، وانهزموا فتخلّصنا[1] أصحابنا ، وحوينا يومئذ إحدى وثلاثين سُميريّة من سُميْريّات الزنج ، وألفت الجبائىّ فى ثلاث سُميريّات، ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس كانت فى يده حتى دميت إبهامه ؛ فانصرف ؛ ولو أنا جددنا فى طلب الجبائىّ فى ذلك اليوم ظننتُ أنا أدركناه ، فمنعَنا من ذلك شدّة اللغوب . ورجع أبو العباس وأكثر أصحابه بمواضعهم من فُوّهه بردودا لم يُرْمَ أحد منهم ؛ فلمّا وافَى عسكره أمر لمن كان صحبه بالأطواق والخِلَع والأسورة ، وأمر بإصلاح السميريّات المأخوذة من الزَّنج ، وأمر أبا حمزة أن يجعل مقامه بما معه من الشَّذا فى دِجْلة بحذاء خُسْرُسابور .

(١) يقال : خلصته من كذا ، أى نجيته ، مثل تخلصته .

ثم إنّ أبا العباس رأى أن يتوغّل فى مازروان حتى يصير إلى القرية المعروفة بالحجّاجيّة ، وينتهى إلى نهر الأمير ، ويقف على تلك المواضع، ويتعرّف الطرق التى تجتاز فيها سُميريّات الزّنج ، وأمر نصيرًا فقدّمه بما معه من الشّذا والسميريّات ، فسار نصير لذلك ؛ فترك طريق مازروان ، وقصد ناحية نهر الأمير ، فدعا أبو العباس سُميريّته ، فركبها ومعه محمد بن شعيب ، ودخل مازروان وهو يرى أن نصيرًا أمامه ، وقال لمحمد : قدّمنى فى النهر لأعرف خبر نُصير . وأمر الشذا والسميريّات بالمصير خلفه .

قال محمد بن شعيب : فمضينا حتى قاربنا الحجّاجية ، فعرضت لنا في النهر صلْغة[1] فيها عشرة زنوج ؛ فأسرعنا إليها ، فألقى الزُّنوج أنفسهم فى الماء ، وصارت الصلغة فى أيدينا ، فإذا هى مملوءة شعيراً ، وأدركنا فيها زنجيًا فأخذناه ، فسألناه عن خبر نصير وشذواته فقال : ما دخَل هذا النهر شىء من الشّذَا والسُّميريّات ، فأصابتنا حيرة ، وذهب الزنج الذين أفلتوا من أيدينا فأعلموا أصحابهم بمكاننا وعرض للملاحين الذين كانوا معنا غنمٌ فخرجوا لإنتهابها .

قال محمد بن شعيب : وبقيتَ مع أبى العباس وحدى ، فلم نلبث أن وافانا قائد من قوّاد الزنج ، يقال له مُنتاب ، فى جماعة من الزَّنج من أحد جانبى النهر ، ووافانا من الجانب الآخر عشرة من الزَّنج ، فلمّا رأينا

(١) الصلغة : السفينة الكبيرة .

ذلك خرج أبو العباس ، ومعه قوسه وأسهمه ، وخرجتُ برمح كان فى يدى، وجعلتُ أحـميه بالرّمح وهو يرمى الزّنج ، فجـرح منهم زنجيّين ، وجعلوا يثـوبون ويكثرون ، وأدركنا زيرك فى الشَّذَا ومعه الغلـمان ؛ وقد كان أحاط بنا زُهاء ألفى زنجىّ من جـانبى مازروان ، وكفى الله أمرهم ، وردّهم بذلّةٍ وصَغار ، ورجع أبو العباس إلى عـسكره ، وقد غنم أصحابه من الغنم والبقـر والجواميس شـيئًا كثيـراً ، وأمر أبو العبـاس بثلاثة من الملاّحين الذين كانوا معـه ، فتركوه لإنتهاب الغنم ، فـضربت أعناقهم ، وأمر لمن بقى بالأرزاق لشهر ، وأمر بالنداء فى الملاّحين ألا يبرح أحدٌ من السميريّات فى وقت الحرب ؛ فمن فعل ذلك فقد حلّ دمه .

وانهزم الزَّنج أجمعون حتي لحقوا بطَهيثا ، وأقام أبو العباس بمعسكره فى العُمر ، وقـد بثّ طلائعه فى جميع النواحى . فـمكث بذلك حيناً ، وجمع سليـمان بن جامع عـسكره وأصحابه ، وتحـصّن بطهيثـا ، وفعل الشعـرانىّ مثل ذلك بسوق الخمـيس ؛ وكان بالصَّينيّة لهم جيش كـثيف أيضاً ، يقود أهله رجل منهم يقال له نصر السِّندىّ ، وجعلوا يُخربون كلَّ مَا وجدوا إلى إخرابه سبيلاً ، ويحملون ما قدروا على حمله من الغلاّت ، ويعمرون مواضعـهم التى هم مقيمون بها . فوجّه أبو العـباس جماعة من قـوّاده ، منهم الشاه وكـمُشْجُور والفـضل بن مـوسى بن بغـا ، وأخـوه محمـد على الخليل إلى ناحية الصّينيّة ، وركب أبو الـعباس ومعه نـصير وزِيرك فى الشَّذا والسمـيريّات ، وأمر بـخيل فعبرَ بها من بَرْمـساور إلى طريق الظهر .

وسار الجيش حتى صار إلى الهُرْث ، فأمر أبو العباس بتعبير الدوابّ إلى الهُرْث ، فعبرت ، فصارتْ إلى الجانب الغربيّ من دِجْلة ، وأمَر بأن يُسلك بها طريق دير العمـال . فلما أبصر الزّنج الخيل دخلتـهم منها رهبة شـديدة ، فلجئـوا إلى الماء والسفـن ، ولم يلبثـوا أن وافتـهم الشَّذَا والسمـيريّات ، فلم يجدوا ملجأ واستسلموا ، فقـتِل منهم فريق ، وأسِر فريق، وألقى بعضهم نفسه فى الماء ، فأخذ أصحاب أبى العباس سفنهم؛ وهى مملوءة أرزاً ، فصارت فى أيديهم ، وأخذوا سُمـيريّة رئيسهم المعروف بنصر السندىّ ، وانهزم البـاقون ، فصارت طائفة منهم إلى طَهيـثا وطائفة إلى سـوق الخمـيس ، ورجع أبو العبـاس غانمًا إلى عـسكره ، وقد فـتح الصينيّة وأجلى الزّنج عنها .

قال محمد بن شعيب : وبينا نحن فى حرب الزَّنج بالصينيّة إذ عرض لأبى العباس كُرْكىّ طائر ، فرماه بسـهم ، فشكّه فسقط بين أيدى الزَّنج ، فأخذوه ، فلما رأوا موضع السـهم منه ، وعلموا أنه سهم أبى العباس زاد ذلك فى رعبهم ؛ فكان سببًا لإنهزامهم يومئذ .

وقد ذُكر عمن لا يُتّهم أن خبر السهم الذى رمى به أبو العباس الكُرْكىّ فى غيـر هذا اليوم ، وانتهى إلى أبى العـباس أنّ بَعْبَدَ سِى جيـشًا عظيمًا برأسـهم ثابت بن أبى دلف ولؤلؤ الزنجيّان ، فـصار أبو الـعبـاس إلى عبْدَسى قاصدًا للإيقاع بهما ومَنْ معـهما فى خيل جريدة ، قد انتخبت من جُلد غلمانه وحماة أصحابه ، فوافى الموضع الذى فيه جمعهم فى السَّحَر ، فأوقع بهم وقعة غليظة ، . قُتِل فيها من أبطالهم ، وجُلد من رجالهم خلق

كثير ، وانهزموا . وظفـر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبى دلف ، فمنّ عليه واستبقاه ، وضمّه إلى بعض قوّاده ، وأصاب لؤلؤًا سهم فهلك منه، واستنقذ يومئذ من النساء اللواتى كنّ فى أيدى الزّنج خلق كثير ، فأمر أبو العباس بإطلاقهنّ وردّهن إلى أهلهنّ ، وأخَذ كلَّ ما كان الزنج جمعوه.

ثم رجع أبو العباس إلى معسكره ، فـأمر أصحابه أن يُريحوا أنفسَهم ليسير بهم إلى سوق الخيمس ، ودعا نصيرًا فـأمره بتعبئة أصحابه للمسير إليها ، فقـال له نصير : إنّ نهر سوق الخمـيس ضيّق ، فأقم أنت وائذن لى فى المسير إليه حتى أعـاينَه ، فأبى أن يدْعه حتى يعاينه ، ويقف على علم ما يحتاج إليه منه قبل موافاة أبيه أبى أحمد ؛ وذلك عند ورود كتاب أبى أحمد عليه بعزمه على الإنحدار .

* * *

قال محمـد بن شعيب : فدعانى أبو العبـاس ، فقال لىْ : إنه لابدّ لى من دخول سوق الخميس ، فقلـت : إن كنتَ لابدّ فاعلاً ما تذكر فلا تكثر عدد مَنْ تحمل معك فى الشَّذَا ، ولا تزد على ثلاثة عشر غلامًا عشرة رمـاة وثلاثة فى أيديهم الرماح ؛ فـإنى أكـره الكثرة فى الشَّذَا مع ضـيق النهر، فاستعدّ أبو العبـاس لذلك ، وسار إليه ونُصير بين يديه حتى وافَى فم بَرْمسـاور ، فقال له نُصـير : قدّمنـى أمامك ، ففـعل ذلك ، فدخل نصيـر فى خمس عـشرة شَذَاة ، واسـتأذنه رجل من قوّاد الموالـى يقال له موسى دالجـويه فى التقدّم بين يديه ، فـأذن له ، فسار وسار أبو العـباس

حتى انتهى به مسيره إلى بَسامِى ، ثم إلى فوّهة براطق ونهر الرّق والنهر الذى ينفذ إلى رواطاً وعَبْدَسِى ؛ وهذه الأنهار الثلاثة تؤدّى إلى ثلاث طرق مفترقة ، فأخذ نصير فى طريق نهر براطق وهو النهر المؤدى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعرانىّ التى سمّاها المنيعة بسوق الخميس . وأقام أبو العباس على فُوّهة هذا النهر ، وغاب عنه نُصَير حتى خفىَ عنه خبره . وخرج علينا في ذلك الموضع من الزّنج خلق كثير ، فمنعونا من دخول النهر ، وحالوا بيننا وبين الإنتهاء إلى السور - وبين هذا الموضع الذى انتهينا إليه والسور المحيط بمدينة الشعرانىّ مقدار فرسخين - فأقاموا هناك يحاربوننا ، واشتدّت الحرب بيننا وبينهم وهم على الأرض ؛ ونحن فى السفن من أوّل النهار إلى وقت الظهر ، وخفىَ علينا خبرُ نُصَير ، وجعل الزّنج يهتفون بنا : قد أخذنا نُصيرًا فماذا تصنعون ؟ ونحن تابعوكم حيثما ذهبتم ، فاغتمّ أبو العباس لما سمع منهم هذا القول ، فأستاذنه محمد بن شعيب فى المسير ليتعرّف خبر نصير ، فأذن له ، فمضى فى سُميريّة بعشرين جذّافاً حتى وافى نصيرًا أبا حمزة ، وقد قرب من سكرْ كان الفسقة سكروه ، ووجده قد أضرم النار فيه وفى مدينتهم ، وحارب حربًا شديدًا ورزق الظفر بهم ، وكان الزّنج ظفروا ببعض شذوات أبى حمزة ، فقاتل حتى انتزع ما كانوا أخذوا من أيديهم ، فزجع محمد ابن شعيب إلى أبى العباس ، فبشره بسلامة نصير ومَنْ معه ، وأخبره خبره . فسرّ بذلك وأسَرَ نصير يومئذ من الزنج جماعة كثيرة ، ورجع حتى وافى أبا العباس بالموضع الذى كان واقفًا به . فلمّا رجع نصير قال

أبو العباس. : لستُ زائلاً عن موضعي هذا حتى أرواحهم القتال في عشيّ هذا اليوم ، ففعل ذلك ، وأمر بإظهار شَذَاة واحدة من الشّذوات التي كانت معه لهم ، وأخفى باقيها عنهم ، فطمعوا في الشَّذَاة التي رأوها ، فتبعوها ، وجعل مَنْ كان فيها يسيرون سيرًا ضعيفًا حتى أدركوها ، فعلقوا بسكانها ، وجعل الملاحون يسيرون حتى وافَوا المكان الذى كانت فيه الشَّذَوات المكمَّنة .

وقد كان أبو العباس ركب سُميريّة ، وجعل الشذا خلْفه ، فسار نحو الشذاة التي علق بها الزّنج لما أبصرها ، فأدركها ، والزّنج ممسكون بسُكانها يحيطون بها من جوانبها ، يرمون بالنُّشاب والآجرّ ، وعلي أبي العباس كيز تحته درع .

قال محمد : فنزعنا يومئذ من كيز أبي العباس خمسًا وعشرين نُشابة، ونزعتُ من لُبّادَة كانت عليّ أربعين نشابة ، ومن لبابيد سائر الملاحين الخمس والعشرين والثلاثين . وأظفر الله أبا العباس بستّ سُميريّات من سُميريّات الزّنج ، وتخلص الشذا من أيديهم ، وانهزموا ، ومال أبو العباس وأصحابه نحو الشّط ، وخرج من الزّنج المقاتلة بالسيوف والتراس ، فانهزموا لا يلوون على شيء للرهبة التي وصلت إلى قلوبهم ، ورجع أبو العباس سالماً غانماً ، فخلع على الملاحين ووصلهم ، ثم صار إلى معسكره بالعُمر ، فأقام به إلى أن وافى الموفّق .

* * *

ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبى أحمد

وفى شهر رمضان من هذه السنة استأمن إلى أبى أحمد خلْق كثير من عند الزنج .

ذكر سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك أنه كان - فيما ذكر - استأمن إلى أبى أحمد رجلٌ من مذكورى أصحاب الخبيث ورؤسائهم وشجعانهم ، يقال له مهذّب ، فحمِل فى الشذا إلى أبى أحمد ، فأُتِىَ به فى وقت إفطاره ، فأعلمه أنه جاء متنصّحًا راغبًا فى الأمان ، وأن الزّنج على العبور فى ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات ، وأنّ الذين ندب الفاسق لذلك أنجادهم وأبطالهم ، ؛ فأمر أبو أحمد بتوجيه مَنْ يحاربهم إليهم ومن يمنعهم من العبور وأن يعارضوا بالشَّذا . فلما علم الزَّنج أن قد نذِر بهم انصرفوا منهزمين ، فكثر المستأمنة من الزّنج وغيرهم وتتابعوا ؛ فبلغ عدد مَنْ وافى عسكر أبى أحمد منهم إلى آخر شهر رمضان سنة سبع وستين ومائتين خمسة آلاف رجل من بين أبيض وأسود .

وفى شوال من هذه السنة ورد الخبر بدخول الخجُستانىّ نيسابور وانهزام عمرو بن الليث وأصحابه ، فأساء السيرة فى أهلها ، وهدم دور آل مُعاذ بن مسلم ، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم ، وترك ذكر محمد بن طاهر ، ودعا له على منابر ما غلب عليه من مدن خراسان وللمعتمد ، وترك الدعاء لغيرهما .

ذكر خبر الإيقاع بالزنج في هذا العام

وفى شوال من هذه السنة كانت لأبى العباس وقعة بالزّنج ، قُتِل فيها منهم جمع كثير .

ذكر سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك - فيما بلغنى - أنّ الفاسق انتخب من كلّ قيادة من أصحابه أهل الجلَد والبأس منهم ، وأمر المهلبىّ بالعبور بهم ليبيّت عسكر أبى أحمد ، ففعل ذلك ، وكانت عِدّة مَنْ عَبَر من الزّنج وغيرهم زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم من الزنج ، وفيهم نحو من مائتى قائد ، فعَبَرُوا إلى شرقىّ دِجْلة ، وعزموا على أن يصير القوّاد منهم إلى آخر النخل مما يلى السَّبَخة ؛ فيكونوا فى ظهر عسكر أبى أحمد ، ويعبر جماعة كثيرة منهم فى الشَّذَا والسّميريّات والمعابر قبالة عسكر أبى أحمد ، فإذا نشبت الحرب بينهم انكبّ مَنْ كان عبر من قوّاد الخبيث ، فسار إلى السَّبخة على عسكر أبى أحمد الموفق ، وهم غارّون مشاغيل بحرب مَنْ بإزائهم ، وقدّر أن يتهيأ له فى ذلك ما أحبه . فأقام الجيش فى الفُرات ليلَتهم ، ليغادوا الإيقاع بالعسكر . فاستأمن إلى أبى أحمد غلام كان معهم من الملاحين ، فأنهى إليه خبرَهم وما اجتمعت عليه آراؤهم ، فأمر أبو أحمد أبا العباس والقُوّاد والغلمان بالنهوض إليهم ؛ وقصد الناحية التى فيها أصحاب الخبيث ، وأنفذ جماعة من قُوّاد غلمانه فى الخيل إلى السَّبَخة التى فى مؤخّر النخل بالفرات ، لتقطعهم عن الخروج إليها ،

وأمر أصحاب الشَّذَا والسميريّات ، فاعترضوا فى دجْلة ، وأمر الرّجالة بالزَّحْف إليهم من النخل . فلما رأى الفجّار ما أتاهم من التدبير الذى لم يحتسبوه كرّوا راجعين فى الطريق الذى أقبلوا منه طالبين التخلص ، فكان قصدهم لجويْث باروَيْه ، وانتهي خبر رجوعهم إلى الموفّق ، فأمر أبا العباس وزيرك بالإنحدار فى الشَّذَوات يسبقونهم إلى النهر ؛ ليمنعوهم من عبوره . وأمر غلاماً من غلمانه ، يقال له ثابت ، له قيادة على جَمْع كثير من غلمانه السودان أن يحمل أصحابه فى المعابر والزّواريق وينحدر معهم إلى الموضع الذى فيه أعداء الله للإيقاع بهم حيث كانوا ، فأدركهم ثابت فى أصحابه بجويْث بارويه ، فخرج إليهم فحاربهم محاربة طويلة ، وثبتوا له ، واستقبلوا جمعه وهو من أصحابه فى زُهاء خمسمائة رجل ، لأنهم لم يكونوا تكاملوا وطمعوا فيه ، ثم صدقهم وأكبَّ عليهم ، فمنحه الله أكنافَهم ، فمِنْ مقتول وأسير وغريق وملجّج فى الماء بقدر اقتداره على السباحة التقطته الشذا والسميريّات فى دِجْلة والنهر ، فلم يفلت من ذلك الجيش إلا أقله . وانصرف أبو العباس بالفَتْح ، ومعه ثابت وقد عُلِّقت الرءوس فى الشَّذَوات وصُلب الأسارى فيها ، فاعترضوا بهم مدينتَهم ليرهبوا بهم أشياعهم ؛ فلما رأوْهم أبْلسوا وأيقنوا بالبَوار ، وأدخل الأسارى والرءوس إلى الموفقيّة ، وانتهى إلى أبى أحمد أن صاحب الزّنج موّه على أصحابه ، وأوهمهم أن الرءوس المرفوعة مُثُلٌ مثّلت لهم ليراعُوا، وأن الأسارَى من المستأمنة . فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بجمع الرءوس والمسير بها إلى إزاء قصر الفاسق والقذف بها فى منجنيق منصوب

فى سفينة إلى عسكره ، ففعل أبو العباس ذلك ، فلما سقطت الرءوس فى مدينتهم ، عرف أولياء القتلى رءوس أصحابهم ، فظهر بكاؤهم ، وتبين لهم كذب الفاجر وتمويهه .

* * *

ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنهر ابن عمر

وفي ذى القعدة منها كانت لزيرك وقعة مع جيش لصاحب الزنج بنهر ابن عمر ، قتل زيرك منهم فيها خلقًا كثيراً .

ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

ذكر أن صاحب الزَّنج كان أمر بإتّخاذ شَذَوات ، فعُمِلت له ، فضمها إلى ما كان يحارب به ، وقسّم شذواته ثلاثة أقسام بين بَهْبوذ ونصر الرومىّ وأحمد بن الزرنجىّ ، وألزم كلّ واحد منهم غرْمَ ما يصنع على يديه منها ، وكانت زهاء خمسين شَذاة ، ورتب فيها الرّماة وأصحاب الرماح ، واجتهدوا فى إكمال عُدّتهم وسلاحهم ، وأمرهم بالمسير فى دِجْلة والعبور إلى الجانب الشرقىّ والتعرّض لحرب أصحاب الموفق ، وعدّة شذوات الموفّق يومئذ قليلة ، لأنه لم يكن وافاه كلّ ما كان أمر بإتّخاذه ، وما كان عنده منها فمتفرّق فى فُوّهة الأنهار التى يأتى الزَّنج منها المِيَر . فغلظ أمر أعوان الفاجر ، وتهيّأ له أخذ شذاة بعد شذاة من شذا الموفّق ،

وأحجم نصير المعـروف بأبى حمزة عن قتالهم والإقدام عليـهم ، كما كان يفعل لقلة ما معه من الشَّذا ، وأكثر شذوات الموفق يومئذ مع نصير ، وهو المتولِّى لأمـرها . فارتاع لذلك أهلُ عسكر الموفق ، وخافـوا أن يقدم على عسـكرهم الزَّنج بما معـهم من فضل الشَّذَا ، فـورد عليهم فى هـذه الحال شَذوات كان الموَفَّق تقدّم فى بنائهـا بجنّابَا ، فأمر أبا العباس بتلقّيهـا فيما معه من الشَّذَا حتى يوردها العسكر ، إشـفاقًا من اعتراض الزَّنج عليها فى دِجْلة ، فسلمت ، وأتى بها حتى إذا وافت عسكر نُصير ، فبصر بها الزنج طمعوا فـيها ، فأمـر الخبيث بإخراج شَذواته ، وأمـر أصحابه بمعارضـتها والإجتـهاد فى اقتطاعـها ، فنهضوا لذلك . فـتسرّع غـلام من غلمان أبى العباس شجاع يقال له وصـيف يعرف بالحِجْراى ، فى شذوات كُنّ معه ، فشدّ على الزنج فـانكشفوا ، وتبعهم حتى وافى بهم نهـر أبى الخصيب ، وانقطع عن أصـحابه ، فـكرُّوا عليه شـذواتِهم ، وانتـهى إلى مضـيق ، فـعلقت مجـاديف بعض شـذواته بمجاديف بعـض شذواتهم ، فـجنحت وتقصّفت بالشطّ ، وأحاط به الآخرون واكتنفوه من جوانبه ، وانحدر عليه الزّنج من السور ، فحاربهم بمَنْ كان معه حرباً شديداً حتى قتلوا .

وأخذ الزّنج شـذواتِهم ، فأدخلوها نـهر أبى الخصـيب . ووافى أبو العباس بالشـذوات الجنّابية سالمة بما فيها من السـلاح والرجال ، فأمر أبو أحمد أبا العباس بتقلّد أمـر الشَّذَوات كلها والمحاربة بها ، وقطع مواد المِير عنهم من كلّ جـهة . ففـعل ذلك ، فأصلحت الشـذوات ، ورتّب فيـها

المختارون من الناشبة والرّامحة ؛ حتى إذا أحكم أمرها أجمع ، ورتّبها فى المواضع التى كانت تقصـد إليها شذوات الخبيث ، وتعيث فـيها ، أقبلت شذواته على عادتها التى كانت قد جرت عليـها . فخرج إليهم أبو العباس فى شَذَواته ، وأمر سائر أصحاب الشَّذا أن يحـملوا بحملته ، ففعلوا ذلك وخـالطوهم ، وطفِقـوا يرشُقـونهم بالـسهـام ، ويطـعنونهم بالرمـاح ، ويقذفونهم بالحـجارة ؛ وضرب الله وجوهَهم ، فولوْا منهـزمين ، وتبعهم أبو العباس وأصحابه حتى أولجوهم نهر أبى الخصيب ، وغرق لهم ثلاث شَذَوَات ، وظفر بشـذاتَين من شَذَواتهم بما فيـها من المقـاتلة والملاّحين . فأمر أبو العباس بضرب أعنَاق مَنْ ظفِر به منهم .

فلما رأى الخبيث ما نزل بأصـحابه ، امتنع من إخراج الشَّذا عن فناء قصره ، ومـنع أصحابه أن يجاوزوا بهـا الشطّ إلا فى الأوقات التى يخلو دِجْلة فيها من شَذَوات الموفّق .

فلمّا أوقع بهم أبو العبـاس هذه الوقعة اشتدّ جـزعُهم ، وطلب وجوه أصحاب الخـبيث الأمانَ فأومِنوا ، فكان ممـن استأمَن من وجوههم -فـيما ذكر- محـمد بن الحارث العـمىّ ، وكان إليه حفظ عـسكر مَنكى والسور الذى يلى عـسكر الموفّق ، وكـان خروجُه ليـلاً مع عـدّة من أصحـابه ، فـوصله الموفّق بصلات كـثيـرة ، وخلع عليـه ، وحمله على عـدّة دوابّ بخليتهـا وآلتها، وأسْنى له الرّزق ، وكان محمـد بن الحارث حاول إخراج زَوْجتـه معه ، وهى إحدى بنات عـمه ، فعجـزت المرأة عن اللحاق به ،

فأخذها الزنج فردّوها إلى الخبيث ، فحبسها مدّة ، ثم أمر بإخراجها والنداء عليها في السوق ، فبيعت ؛ ومنهم أحمد المعروف بالبَرذعيّ .
وكان فيما قيل - من أشجع رجال الخبيث الذين كانوا في حيِّز المهلبيّ ومن قوّاده الزنج مدبد وابن أنكلوية ومنينة ، فخلع عليهم جميعاً ، ووصُلوا بصلات كثيرة ، وحُمِلوا على الخيل ، وأحسن إلى جميع من جاءوا به معهم من أصحابهم، وانقطعت عن الخبيث موادّ الميرة ، وسُدّت عليه وعلى من أقام معه المذاهب . وأمر شبلاً وأبا النداء - وهما من رؤساء قوّاده وقدماء أصحابه الذين كان يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم - بالخروج في عشرة آلاف من الزَّنج وغيرهم ، والقصد لنهر الدير ونهر المرأة ونهر أبي الأسد، والخروج من هذه الأنهار إلى البَطيحة للغارة على المسلمين ، وأخذ ما وجدا من طعام وميرة ليُقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام وواسط ونواحيها . فندب الموفَق لقصدهم حين انتهى إليه خبر مسيرهم مولاه زيرك صاحب مقدمة أبي العباس ، وأمره بالنهوض في أصحابه إليهم ، وضمّ إليه من اختار من الرجال ، فمضى في الشَذَوات والسّميريّات ، وحمل الرجّالة في الزواريق والسفن الخِفاف حثيثًا ، حتى صار إلى نهر الدير ، فلم يعرِف لهم هنالك خبراً ، فصار منه إلى بشق شِيرين . ثم سلك في نهر عديّ حتى خرج إلى نهر ابن عمر ، فالتقى به جيش الزّنج في جمع راعته كثرته ، فاستخار الله في مجاهدتهم ، وحمل عليهم في ذوي البصائر والثبات من

أصـحابه ، فـقـذف الله الرعب فى قلوبهم ، فـانفـضّوا ، ووضع فيـهم السلاح، فقتَل منهم مقـتلةً عظيمة ، وغرق منهم مثل ذلك ، وأسَر خلقًا كثيراً ، وأخذ مِن سفنهم ما أمكنه أخذه ، وغرق منها ما أمكن تغريقه ؛ فكان ما أخـذ من سفنهم نحواً من أربعمـائة سفينة ، وأقبل بمن مـعه من الأسارى وبالرءوس إلى عسكر الموفق.

❁ ❁ ❁



الفصل الثامن

خبر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه

وفى ذى الحجة لست بقين منه عبر الموفق بنفسه إلى مدينة الفاسق وجيشه لحربه .

ذكر السبب الذى من أجله كان عبورُه إليها :

وكان السبب فى ذلك - فيما ذكر - أنّ الرؤساء من أصحاب الفاسق، لمّا رأوا ما قد حلّ بهم من البلاء مِنْ قتل مَنْ يظهر منهم وشدّة الحصار على مَنْ لزم المدينة ؛ فلم يظهر منهم أحد ، وحالّ مَنْ خرج منهم بالأمان من الإحسان إليه ، والصفح عن جُرْمه ، مالوا إلى الأمان ، وجعلوا يهربون فى كلّ وجه ، ويخرجون إلى أبى أحمد فى الأمان كُلّما وجدوا إليه السبيل . فملىء الخبيث من ذلك رُعْبًا ، وأيقن الهلاك ، فوكلّ بكلّ ناحية كان يرى أنّ فيها طريقًا للهرب من عسكره أحراسًا وحَفَظة ، وأمرهم بضبط تلك النواحى ، ووكّل بفُوّهة الأنهار مَنْ يمنع السفن من الخروج منها ، واجتهد فى سدّ كلّ مسلك وطريق وثلمة ؛ لئلا يطمع فى الخروج عن مدينته .

وأرسل جماعة من قوّاد الفاجر صاحب الزنج إلى الموفق يسألونه الأمان ، وأن يوجه لمحاربة الخبيث جيشًا ليجدوا إلى المصير إليه سبيلاً ، فأمر الموفق أبا العباس بالمصيرِ فى جماعة من أصحابه إلى الموضع المعروف

بنهـر الغربـىّ ، وعلىّ بن أبان حينـئذ يحـوط ذلك النهـر ؛ فنهض أبو العبـاس فى المختارين من أصحـابه ، ومعه الشَّذَا والسّميـريّات والمعابر ، فقصد النهر الغربىّ ، وانتدب المهلبىّ وأصـحابه لحربه ، فاستعرت الحرب بين الفريقين ، وعلا أصحاب أبى العـباس ، وقهر الزّنْج ، وأمدّ الفاسق المهلبىّ بسليـمان بن جـامع فى جَمع من الزّنْج كثـير ، واتصلـت الحرب يومئذ من أوّل النهار إلى وقت العـصر ؛ وكان الظفر فى ذلك اليوم لأبى العبـاس وأصحابِه ، وصار إليـه القوم الذين كانوا طلبـوا الأمان من قُوّاد الخبيث ، ومعـهم جمع كثير من الفرسان وغـيرهم من الزَّنْج ، فأمر أبو العباس عند ذلك أصحابه بالرجـوع إلى الشَّذا والسفن ، وانصرف فاجتاز فى منصرفه بمدينة الخبيث ، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بنهر الأتراك ، فرأى أصحابه من قلة عدد الزَّنج فى هذا المـوضع من النهر ما طمعوا له فيمن كـان هناك ، فقصدوا نحـوهم ، وقد انصرف أكثـر أصحابهم إلى المدينة الموفّقـية ، فقـربوا إلى الأرض ، وصعِدوا وأمعنـوا فى دخول تلك المسالك ، وعلَتْ جماعةٌ منهم السور ، وعليه فريق من الزّنج وأشياعهم ، فقتلوا مَنْ أصابوا منهم هنالك ، ونذِر الفاسق بهم ، فاجتمعوا لحربهم ، وأنجد بعضهم بعضاً .

فلمّا رأى أبو العباس اجـتماعَ الخبثاء وتحاشـدَهم وكثرة مَن ثاب إلى ذلك الموضع منهم ، مع قلة عدد مَنْ هناك من أصحابه ، كرّ راجعًا إليهم فيمن كان معه فى الشَّذَا ، وأرسل إلى الموفّق يسـتمدّه ، فوافاه لمعونته مَنْ خفّ لذلك من الغـلمـان فى الشَّذَا والسُّمـيـريّات ، فظهـروا على الزَّنْج

وهزموهم ؛ وقد كان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أصحاب أبى العباس على الزَّنج ، وغَل فى النهر مصاعداً فى جمع كثير ؛ فانتهى إلى النَّهر المعروف بعبد الله ، واستدبر أصحاب أبى العباس وهم فى حربِهم ، مقبلين علىّ مَنْ بإزائهم ممّن بحاربهم ، فيمعنون فى طلب مَن انهزم عنهم من الزَّنج . فخرج عليهم من ورائهم ، وخفقت طبوله ، فانكشف أصحاب أبى العباس ، ورجع عليهم مَنْ كان انهزم عنهم من الزَّنج ، فأصيبت جماعة من غلمان الموفّق وغيرهم من جُنده ، وصار فى أيدى الزَّنج عدّة أعلام ومطارد ، وحامى أبو العباس عن الباقين من أصحابه ، فسلم أكثرُهم ،. فانصرف بهم ؛ فأطمعت هذه الوقعة الزَّنج وتبّاعهم ، وشدّت قلوبهم ، فأجمع الموفَّق على العبور بجيشه أجمع لمحاربة الخبيث ، وأمر أبا العباس وسائر القوّاد والغلمان بالتأهّب للعبور ، وأمر بجمع السفن والمعابر وتفريقها عليهم ، ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه ، فعصفت رياحٌ منعت من ذلك ، واتصل عصوفها أياماً كثيرة ، فأمهل الموفّق حتى انقضى هبوب تلك الرياح ، ثم أخذ فى الاستعداد للعبور ومناجزة الفاجر .

فلما تهيّأ له ما أراد من ذلك عبر يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذى الحجة من سنة سبع وستين ومائتين فى أكثف جَمْع وأكمل عدّة ، وأمر بحمل خيل كثيرة فى السفن ، وتقدّم إلى أبى العباس فى المسير فى الخيل ومعه جميع قوّاده الفرسان ورجّالتهم ، ليأتىَ الفجرة مِن ورائهم من مؤخّر النهر المعروف بمنكى ، وأمر مسروراً البلخىّ مولاه بالقصد إلى نهر الغربىّ

ليضطر الخبيث بذلك إلى تفريق أصحابه ، وتقدّم إلى نصير المعروف بأبى حمزة ورشيق غلام أبى العباس وهو من أصحابه - وشذواتُه فى مثل العدّة التى فيها نصير - بالقصد لفوّهة نهر أبى الخصيب والمحاربة لما يظهر من شَذَوات الخبيث ، وقد كان استكثر منها ، وأعدّ فيها المقاتلة وانتخبهم. وقصد أبو أحمد بجميع مَنْ معه لركن من أركان مدينة الخبيث قد كان حصّنه بابنه المعروف بأنكلاى ، وكنفه بعلىّ بن أبان وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانىّ وحفّه بالمجانيق والعرّادات والقسىّ الناكيّة ، وأعدّ فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه .

فلما التقى الجمعان أمر الموفّق غلمانه : الناشبة والرامحة والسودان ، بالدنوّ من الركن الذى فيه جمع الفسقة ، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك ؛ وهو نهر عريض غزير الماء . فلما انتهوْا إليه أحجموا عنه ، فصِيح بهم ، وحُرِّضوا على العبور فعبروا سباحة ، والفسقة يرمونهم بالمجانيق والعرّادات والمقاليع والحجارة عن الأيدى ، وبالسهام عن القسىّ الناوكية ، وقسىّ الرِّجْل وصنوف الآلات التى يرمَى عنها ؛ فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر ، وانتهوْا إلى السور ، ولم يكن لحِقهم من الفعَلة مَن كان أعدَّ لهدمه . فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من سلاحهم ويسَّر الله ذلك ، وسهّلوا لأنفسهم السبيل إلى عُلوّه ، وحضرهم بعض السلاليم التى كانت أعِدّت لذلك ، فعلَوا الركن ، ونصبوا هنالك علمًا من أعلام الموفق ، وأسلم الفسقة سورهم ، وخلوْا عنه بعد أن حوربوا عليه أشدّ حرب ، وقتِل من الفريقين خلقٌ كثير ،

وأصيب غلامٌ من غلمان الموفّق يقال له ثابت بسهم فى بطنه فمات ، وكان من قوّاد الغلمان وجِلّتهم .

ولما تمكن أصحاب الموفّق من سُور الفسقة ، أحرقوا ما كان عليه من منجنيق وعرّادة وقوس ناوكيّة ، . وخلّوْا عن تلك الناحية وأسلموها . وقد كان أبو العباس قصد بأصحابه فى الخيل النهر المعروف بمنكى ، فمضى علىّ بن أبان المهلبىّ فى أصحابه ، قاصداً لمعارضته ودفعه عمّا صمد له ، والتقيا ، فظهر أبو العباس عليه وهزمه ، وقتل جمعًا كثيراً من أصحابه ، وألفت المهلبىّ راجعًا ، وانتهى أبو العباس إلى الموضع الذى قدّر أن يصل منه إلى مدينة الفاسق من مؤخر نهر منكى ، وهو يرى أنّ المدخل من ذلك الموضع سهلٌ ، فدخل إلى الخندق فوجده عريضاً ممتنعاً ، فحمل أصحابه على أن يعبروه بخيولهم ، وعبَره الرّجَالة سباحةً حتى وافوا السور، فثلموا فيه ثلماً اتَسع لهم منه الدخول فدخلوا ، فلقى أوائلُهم سليمان بن جامع ، وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية لمّا انتهى إليه انهزام المهلبىّ عنها ، فحاربوه ، وكان إمام القوم عشرة من غِلمان الموفق ، فدافعوا سليمان وأصحابَه ، وهم خلق كثير ، وكشفوهم مراراً كثيرة ، وحاموا عن سائر أصحابهم حتى رجعوا إلى مواضعهم .

وقال محمد بن حماد : لما غلب أصحاب الموفّق على الموضع الذى كان الفاسق حرسه بابنه والمذكورين من أصحابه وقوّاده ، وشعّثوا من السور الذى أفضوْا إليه ما أمكنهم تشعيثُه ، وافاهم الذين كانوا أعِدّوا

للهدم بمعاولهم وآلاتهم ، فثلموا فى السور عدّة ثلم ، وقد كان الموفّق أعدّ لخندق الفسقة جسراً يُمَدّ عليه ؛ فمُدّ عليه ، وعبر جمهور الناس . فلما عاين الخَبَثة ذلك ، ارتاعوا فانهزموا عن سور لهم ثان قد كانوا اعتصموا به، ودخل أصحابُ الموفق مدينة الخائن ، فولّى الفاجرُ وأشياعُه منهزمين، وأصحابُ الموفق يتبعونهم ويقتلون مَن انتهوا إليه منهم ؛ حتى انتهوا إلى النهر المعروف بابن سمعان ، وصارت دار ابن سمعان فى أيدى أصحاب الموفق . وأحرقوا ما كان فيها وهدموها ، ووقف الفجرة على نهر ابن سمعان وقوفاً طويلاً ، ودافعوا مدافعة شديدة ، وشدّ بعض غلمان الموفق على علىّ بن أبان المهلبى ، فأدبر عنه هارباً ، فقبض على متزره ، فخلّى عن المتزر ، ونبذه إلى الغلام ، ونجا بعد أن أشفَى على الهَلكة ، وحمل أصحاب الموفق على الزَّنج حملةً صادقة ، فكشفوهم عن النهر المعروف بابن سمعان ، حتى وافَوْا بهم طرف ميدان الفاسق ، وانتهى إليه خبرُ هزيمة أصحابه ودخول أصحاب الموفّق مدينته من أقطارها ، فركب فى جمع من أصحابه ، فتلقّاه أصحاب الموفق، وهم يعرفونه فى طرف ميدانه، فحملوا عليه ، فتفرّق عنه أصحابُه ومَن كان معه وأفردوه ، وقَرُب منه بعض الرجّالة حتى ضرب وجه فرسه بتُرسه ؛ وكان ذلك مع مغيب الشمس ، فأمر الموفّق أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ، فرجعوا سالمين ، قد حملوا من رءوس الخبثاء شيئاً كثيراً ، ونالوا كلّ الذى أحبُّوا منهم من قتل وجراح وتحريق منازل وأسواق ، وقد كان استأمن إلى أبى العباس فى أول

النهار عدد من قوّاد الفاجر وفرسانه ، فاحتاج إلى التوقف على حملهم فى السفن ، وأظلم الليل ، وهبّت ريح شمال عاصف ، وقوِىَّ الجزر ، فلصِق أكثر السفن بالطين .

وحرّض الخبيث أشياعَه واستنجدهم ، فبانت منهم جماعة ، وشدّوا على السفن المتخلّفة ، فنالوا منها نَيْلاً ، وقتلوا فيها نفراً ؛ وقد كان بهبوذ بإزاء مسرور البخلىّ وأصحابه فى هذا اليوم فى نهر الغربىّ ، فأوقع بهم ، وقتل جماعة منهم ، وأسر أسارى ، وصارت فى يده دوابّ من دوابهم ، فكسر ذلك نشاط أصحاب الموفّق . وقد كان الخبيثُ أخرجَ فى هذا اليوم جميع شَذَواته إلى دجْلة محاربين فيها رشيقاً ، وضرب منها رشيق على عدّة شَذَوات ، وغرّق منها وحرّق ، وانهزم الباقون إلى نهر أبى الخصيب.

وذُكر أنه نزل فى هذا اليوم بالفاسق وأصحابه ما دعاهم إلى التفرّق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقَندل وإبرسان وعبّادان وسائر القرى ، وهرب يومئذ أخوا سليمان بن موسى الشعرانىّ : محمد وعيسى، فمضيا يؤمّان البادية ، حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق ، فرجعا، وهرب جماعة من العرب الذين كانوا فى عسكر الفاسق ، وصاروا إلى البصرة ، وبعثوا يطلبون الأمان من أبى أحمد ، فآمنهم ، ووجّه إليهم السفن ، فحملهم إلى الموفقيّة ، وأمر أن يخلَع عليهم ، ويوصلوا ، ويجرَى عليهم الأرزاق والأنزال ، ففعل ذلك بهم .

وكان فيمن رغب في الأمان من جلّة قوّاد الفاجر ريحان بن صالح المغربيّ ، وكانت له رياسة وقيادة ، وكان يتولّى حجبة ابن الخبيث المعروف بأنكلاى ، فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه ؛ فأجيب إلى ذلك ، وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريّات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدّمة أبى العباس ، فسلك النهر المعروف باليهوديّ ؛ حتى وافى الموضع المعروف بالمطّوعة ، فألفى به ريحان ومن معه من أصحابه ، وقد كان الموعد تقدم فى موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه ، فوافى بهم دار الموفق ، فأمر لريحان بخلع ، وحمل على عدّة من أفراس بآلتها ، وأجيز بجائزة سنية ، وخلع على أصحابه ، وأجيزوا على أقدارهم ، وضُمّ إلى أبى العباس ، وأمِر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث ، فوقفوا هنالك فى الشذَا ، فعرفوا خروج ريحان وأصحابه فى الأمان ، وما صاروا إليه من الإحسان، فاستأمن فى ساعتهم تلك من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلّفوا وغيرهم جماعة فألحِقوا فى البرّ والإحسان بأصحابهم ؛ وكان خروج ريحان بعد الوقعة التى كانت يوم الأربعاء فى يوم الأحد لليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وستين ومائتين .

* * *

ذكر خبر عبور الموفّق إلى مدينة الزنج

ولأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر منها سنة ثمان وستين ومائتين عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر ، بعد أن أوْهَى قوّته فى مُقامه بمدينة الموفّقية ، بالتضييق عليه والحصار ، ومنعه وصول المِيَر إليه ؛ حتى استأمن إليه خلق كثير من أصحابه ؛ فلما أراد العبور إليها أمر - فيما ذكر - ابنه أبا العباس بالقَصْد للموضع الذى كان قصده من ركن مدينة الخبيث الذى يحوطه بابنه وجِلّة أصحابه وقوّاده ، وقصد أبو أحمد موضعاً من السور فيما بين النهر المعروف بمنكى والنهر المعروف بابن سمْعان ، وأمر صاعداً وزيرَه بالقصد لفوّهة النهر المعروف بجرى كور ، وتقدَّم إلى زِيرك فى مكانفته ، وأمر مسروراً البلخىّ بالقَصْد لنهر الغربىّ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم من الفَعَلَة جماعة لهدم ما يليهم من السُّور ، وتقدّم إلى جميعهم ألا يزيدوا على هدم السور ، وألا يدخلوا مدينة الخبيث . ووكّل بكلّ ناحية من النواحى التى وجه إليها القوّاد شَذوات فيها الرّماة ، وأمرهم أن يحموا يالسهام مَنْ يهدم السور من الفَعَلة والرجّالة الذين يخرجون للمدافعة عنهم ، فثُلم فى السور ثلم كثيرة ، ودخل أصحابُ أبى أحمد مدينة الفاجر من جميع تلك الثُّلَم ، وجاء أصحاب الخبيث يحاربونهم ، فهزمهم أصحابُ أبى أحمد ، وأتبعوهم حتى وغلوا فى طلبهم ، واختلفت بهم طرق المدينة ، وفرّقت بينهم السكك والفِجاج ، فانتهوْا إلى أبعد من الموضع الذى كانوا وصلوا إليه فى المرّة التى قبلها ، وحرّقوا وقتّلوا .

ثم تراجع أصحـاب الخبيث ، فشدّوا على أصـحاب أبى أحـمد ، وخرج كمناؤهم من نواحٍ يهـتدون لها ولا يعرفها الآخـرون ، فتحيّر مَنْ كـان داخل المدينة من أصـحاب أبـى أحمـد ، ودافـعوا عن أنـفسـهم ، وتراجعـوا نحو دِجْلة حـتى وافاها أكثـرُهم ؛ فمنهم مَنْ دخل السـفينة ، ومنهم مَنْ قذف نفسه فى الماء ، فأخذه أصحاب الشَّذَا ، ومنهم مَنْ قتل . وأصحاب أسحاب الخبيث أسلحـةً وأسلاباً ، وثبت جماعة من غلمان أبى أحمد بحضـرة دار ابن سمعان ، ومعهم راشـد وموسى بن أخت مفلِح ، فى جماعة من قُوّاد الغلمان كانوا آخر مَنْ ثبت من الناس ، ثم أحاط بهم الزَّنج وكـثَرُوهم ، وحـالوا بينهم وبين الشَّذَا ، فـدافـعـوا عن أنفـسـهم وأصحـابهم ، حتى وصلـوا إلى الشَّذَا فركبـوها . وأقام نحـو من ثلاثين غلامـاً من الديالمة فى وجوه الزَّنج وغيـرهم ، يحمون الناس ، ويدفـعون عنهم حتى سلِموا ، وقتِل الثـلاثون من الديّالمة عن آخرهم ، بعد ما نالوا من الفـجّار مـا أحـبوا ، وعظـم على الناس مـا نالهم فى هذه الوقْعـة ، وانصرف أبو أحمد بمَنْ مـعه إلى مدينته الموفقيّة ، وأمـر بجمعهم وعَذْلهم على ما كـان منهم من مخالفـة أمره ، والافتيات عليـه فى رأيه وتدبيره ، وتوعدهم بأغلظ العقـوبة إن عادوا لخلاف أمره بعد ذلك ، وأمـر بإحصاء المفقودين من أصحابه فأحْصُوا له ، فـأتِىَ بأسمائهم ، وأقرّ ما كان جاريًا لهم على أولادهم وأهاليهم ، فـحسُن موقع ذلك منهم ، وزاد فى صـحة نياتهم لِمَّا رأوْا من حياطته خلْف مَنْ أصيب فى طاعته .

* * *

ذكرُ وقعة أبى العباس بمن كان يمدّ الزنج من الأعراب

وفيها كانت لأبى العباس وقـعةٌ بقوم من الأعراب الذين كانوا يميرون الفاسق أجناحهم فيها .

ذكر الخبر عن السبب الذى كانت من أجله هذه الوقعة :

ذُكر أنّ الفاسق لما خرّب البصرة ولاّها رجـلاً من قدماء أصحابه يقال له أحمد بن مـوسى بن سعيد المعروف بـالقَلُوص ؛ فكان يتولّى أمرها ، وصارت فـرصة الفـاسق يَرِدها الأعراب والتّجار ، ويأتونـها بالميِّر وأنواع التجـارات ، ويُحمل ما يردها إلى عـسكر الخـبيث ، حتى فتح أبـو أحمد طهيـثا ، وأسـر القّلوص . فولَى الخـبيثُ ابنَ أخت القَلوص - يـقال له مالك بن بِشران - الـبَصْرة وما يليها . فلمّا نزل أبو أحـمد فرات البَصْرة خاف الفاجـر إيقاع أبى أحمد بمالك هذا ، وهو يومـئذ نازل بسَيْحان على نهر يعرف بنهر ابن عتبة . فكتب إلى مالك يأمره بنقل عسكره إلى النهر المعروف بالديناريّ ، وأن ينفذ جماعة ممّن مـعه لصيد السمك وإدرار حمله إلى عـسكره ، وأن يوجّه قومًا إلى الطريـق التى يأتى منها الأعـراب من البادية ، ليعرف ورود مَن يرد منـهم بالمِيَر ، فإذا وردت رفُقة من الأعراب خرج إليها بأصحابه ، حتى يحـمل ما تأتى به إلى الخبيث ؛ ففعل ذلك مـالك ابن أخت القَلوص ، ووجّه إلـى البَطيـحـة رجلين من أهل قـرية بسمـى، يعرف أحدهمـا بالرّيان والآخر الخـليل ، كانا مـقيمين بعـسكر الخبـيث ، فنهض الخليل والرّيان وجمعـا جماعـةً من أهل الطّفّ ، وأتيا

قرية بسمى ، فأقاما بها يحـملان السمك من البَطيحة أوّلاً أوّلاً إلى عسكر الخبـيث فى الزواريق الصغار التى تسلك بهـا الأنهار الضيّقـة والأرخنجان التى لا تسلكها الـشَّذَا والسّميريّات ؛ فكانت مـوادّ سمك البَطيحـة متّصلة إلى عسكر الخبيث بمقام هذين الرجلين بحيث ذكرنا ، واتّصلت أيضاً مِير الأعراب وما كانوا يأتون به من البـادية . فاتّسع أهلُ عسكره ، ودام ذلك إلى أن استأمن إلى الموفّق رجلٌ من أصحاب الفاجر الذين كانوا مضمومين إلى القَلوص ، يقال له علىّ بـن عمر ، ويعرف بالنـقَّاب ، فأخبر بخـبر مالك بن بِشْران ومقامه بالنهـر المعروف بالدينارىّ ، وما يصل إلى عسكر الخبـيث بمقامه هناك من سَمك الـبطيحة وجلْب الأعـراب . فوجَّه الموفق زيرك مـــولاه فى الشَّذَا والسُمـــيـــريّات إلى الموضع الذى بـه ابن أخت القَلوص، فأوقع به وبأهل عسكره ، فقتل منهم فريقًا وأسر فريقًا ، وتفرَّق أهلُ ذلك العسكر ، وانصرف مالك إلى الخبيث مفلولاً ، فردَّه الخبيث فى جمع إلى مؤخّر النهـر المعروف باليهودىّ ؛ فعـسكر هنالك بموضع قريب من النهر المعروف بالفيّاض . فكانت المِيَر تتَصِل بعـسكر الخبيث مما يَلِى سَبخة الفيّاض . فانتهى خبر مـالك ومقامه بمؤخّر نهر اليهودى ووقْعُ المِيَر من تلك الناحـية إلى عسكر الفـاجر إلى الموفّق ، فـأمر ابنه أبا العـباس بالمصير إلى نهر الأمير ، والنهر المعروف بالفيّاض لتعرّف حقيقة ما انتهى إليه من ذلك ؛ فنفذ الجيش ، فوافق جماعةً من الأعراب يرأسهم رجلُ قد أورد من البادية إبلاً وغنمًا وطعامًا ، فأوقع بهم أبو العـباس ، فقتل منهم جماعةً وأسر الباقين ، ولم يُفلت من الـقوم إلا رئيسهم ؛ فإنه سبق على

حِجْرٍ[1] كانت تحته ، فأمعن هربًا ، وأخذ كلّ ما كان أولئك الأعراب أتوْا به من الإبل والغنم والطعام ، وقطع أبو العباس يدّ أحد الأسرى وأطلقه ، فصار إلى معسكر الخبيث ، فأخبرهم بما نزل به ، فريعَ مالك ابن أخت القَلُوص بما كان من إيقاع أبى العباس بهؤلاء الأعراب .
فاستأمن إلى أبى أحمد ، فأومن وحُبِىَ وكُسِىَ وضُمّ إلى أبى العباس وأجرِيت له الأرزاق ، وأقيمت له الأنزال ، وأقام الخبيث مقام مالك رجلاً كان من أصحاب القَلُوص ، ويقال له أحمد بن الجنيد ، وأمره أن يعسكر بالموضع المعروف بالدهرشير ومؤخّر نهر أبى الخصيب ، وأن يصير فى أصحابه إلى ما يقبل من سمك البَطِيحة ، فيحمله إلى عسكر الخبيث ، وتأدّى إلى أبى أحمد خبر أحمد بن الجنيد ، فوجّه قائداً من قوّاد الموالى يقال له الترمدان فى جيش ، فعسكر بالجزيرة المعروفة بالرّوحية ، فانقطع ما كان يأتى إلى عسكر الخبيث من سَمك البَطِيحة ، ووجّه الموفق شهاب بن العلاء ومحمد بن الحسن العنبريّين فى خيل لمنع الأعراب من حمل المِير إلى عسكر الخبيث ، وأمر بإطلاق السوق لهم بالبصرة ، وحمل ما يريدون امتيارَه من التمر ؛ إذ كان ذلك سبب مصيرهم إلى عسكر الخبيث، فتقدّم شهاب ومحمد لما أمرا به ، فأقاما بالموضع المعروف بقصر عيسى ؛ فكان الأعراب يوردون إليهما ما يجلبونَه من البادية ، ويمتارون التمر ممّا قِبَلهما .

(١) الحجر : الأنثى من الخيل .

ثم صرف أبو أحمد الترمدان عن البصرة ، ووجّه مكانه قائداً من قُوّاد الفراغنة ، يقال له قيصر بن أرْخُوز إخشاذ فَرْغانة ، ووجّه نصيراً المعروف بأبى حمزة فى الشَّذا والسُّميريات ، وأمره بالمقام بفيض البصرة ونهر دُبَيْس وأن يخترق نهر الأبُلّة ونهر معقل ونهر غربىّ ، ففعل ذلك .

قال محمد بن الحسن : وحدّثنى محمد بن حماد ، قال : لما انقطعت المِير عن الخبيث وأشياعه بمقام نصير وقيصر بالبصرة ، ومنعهم المِيرة من البَطيحة والبحر بالشَّذا ، صرفوا الحيلة إلى سلوك نهر الأمير إلى القَنْدل ، ثم سلوك المسيحىّ إلى الطرق المؤدية إلى البرّ والبحر ؛ فكانت مِيَرهُم من البرّ والبحر ، وامتيارهم سمك البحر من هذه الجهة ، فانتهى ذلك إلى الموفّق ، فأمر روشيقًا غلام أبى العباس باتّخاذ عسكر بجَوَيّث بارويه فى الجانب الشرقى من دِجْلة بإزاء نهر الأمير ، وأن يحفر له خندقاً حصينًا ، وأمَر أبا العباس أن يضمّ إلى رشيق من خيار أصحابه خمسة آلاف رجل وثلاثين شَذاة ، وتقدّم إلى رشيق فى ترتيب هذه الشَّذَا على فُوّهة نهر الأمير ، وأن يجعل على كلّ خمس عشرة شَذَاة منها نوبة يلِج فيها نهرَ الأمير ، حتى ينتهىّ إلى المعترض الذى كان الزّنج يسلكونه إلى دُبًّا والقَنْدل والنهر المعروف بالمسيحىّ ، فيكون هناك ؛ فإن طلع عليهم من الخُبثاء طالع أوقعوا به ، فإذا انقضت نَوْبتهم انصرفوا وعاقبهم أصحابهم المقيمون على فُوّهة النهر ففعلوا مثل هذا الفعل . فعكسر رشيق فى الموضع الذى أمِر بترتيبه به ، فانقطعت طرق الفَجَرة التى كانوا يسلكونها إلى دُبا

والقَنْدل والمسيحىّ ؛ فلم يكن لهم سبيل إلى برّ ولا بحر ، فضاقت عليهم المذاهب ، واشتدّ عليهم الحصار .

* * *

قال محمد بن الحسن : قال محمد بن حمّاد : ولمّا كثر أسارى الزَّنج عند الموفّق ، أمر باعتراضهم ، فمَنْ كان منهم ذا قوّة وجَلَد ونهوض بالسلاح منّ عليه ، وأحسن إليه ، وخلطه بغلمانه السودان ، وعرّفهم ما لهم عنده من البرّ والإحسان ، ومَن كان منهم ضعيفًا لا حَراك به ، أو شيخًا فانيًا لا يُطيق حمل السلاح ، أو مجروحًا جراحة قد أزمَنَتْه ، أمر بأن يُكْسىَ ثوبين ، ويوصَل بدراهم ، ويزوّد ويحمل إلى عسكر الخبيث ؛ فيلقى هناك بعد ما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفّق إلى كلّ مَنْ يصير إليه ، وأنّ ذلك رأيه فى جميع مَنْ يأتيه مستأمنًا ويأسره منهم ، فتهيّأ له من ذلك ما أراد من استمالة أصحاب صاحب الزَّنج ، حتى استشعروا الميل إلى ناحيته والدخول فى سِلْمه وطاعته ، وجعل الموفّق وابنه أبو العباس يغاديان حرب الخبيث ومَنْ معه ، ويراوحانها بأنفسهما ومَنْ معهما ، فيقتلان ويأسران ويجرحان ، وأصاب أبا العباس فى بعض تلك الوقعات سهم جرحه فبرأ منه .

* * *

ذكر الخبر عن قتل بهبوذ بن عبد الوهاب

وفى رجب من هذه السنة سنة ثمان وستين ومائتين قتِل بهبوذ صاحب الخبيث .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين .

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .

فمن ذلك ما كان من إدخال العَلَوىّ المعروف بالحَرُون عسكر أبى أحمد فى المحرّم على جمل ، وعليه قبَاء ديباج وقلنسوة طويلة ، ثم حُمل فى شذاة ، ومُضِىَ به حتى وُقف به حيث يراه صاحب الزنج ، ويسمع كلام الرسل .

وفى المحرّم منه قطع الأعراب على قافلة من الحاجّ بين تُوز وسَمِيراء ، فسلبوهم واستاقوا نحواً من خمسة آلاف بعير بأحْمالها وأناساً كثيرين .

* * *

ذكر خبر إصابة الموفّق

وفيها رُمِىَ أبو أحمد الموفّق بسهم - رماه غلام رومىّ ، يقال له قرطاس - للخبيث بعد ما دخل أبو أحمد مدينتَه التى كان بناها لهدم سورها ، وكان السبب فى ذلك - فيما ذُكر - أنّ الخبيث بهبوذ لمّا هلك، طمع الزّنج فيما كان بهبوذ قد جمع من الكنوز والأموال ، وكان قد صحّ عنده أن ملكه قد حوى مائتى ألف دينار وجوهراً وذهباً وفضّة لها قدر،

فطلب ذلك بكلّ حيلة ، وحَرَص عليه ، وحبس أولياءه وقرابته وأصحابه، وضربهم بالسيّاط ، وأثار دوراً من دُوره ، وهدم أبنيةً من أبنيته ؛ طمعًا فى أن يجد فى شىء منها دفيناً ، فلم يجد من ذلك شيئاً ؛ وكان فعله الذى فعله بأولياء بهبوذ فى طلب المال أحد ما أفسد قلوب أصحابه ، ودعاهم إلى الهرَب منه والزّهد فى صحبته ، فأمر الموّفق بالنداء فى أصحاب بهبوذ بالأمان ، فنُودى بذلك ، فسارعوا إليه راغبين فيه ، فألحِقوا فى الصّلات والجوائز والخلَع والأرزاق بنظرائهم . ورأى أبو أحمد لما كان يتعذّر عليه من العُبور إلى عسكر الفاجر فى الأوقات التى تهبّ فيها الرياح وتحرّك فيها الأمواج فى دِجْلة أن يوسع لنفسه وأصحابه موضعًا فى الجانب الغربىّ من دِجْلة ليعسكر به فيما بين ديْر جابيل ونهر المغيرة ، وأمر بقطع النخل وإصلاح موضع الخندق ، وأن يُحفّ بالخنادق ، ويحصّن بالسور ليأمن بيات الفجّار واغتيالهم إياه ، وجعل على قُوّاده نوائب؛ فكان لكلّ واحد منهم نوْبة يغدو إليها برجاله ، ومعه العمال فى كلّ يوم لإحكام أمر العسكر الذى عزم على إتّخاذه هنالك ، فقابَل الفاسق ذلك بأن جعل علىَ علىّ بن أبان المهلّبىّ وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمْدانىّ نُوبًا ، فكان لكلّ واحد منهم يوم ينوب فيه .

فلمّا رأى الموفّق تحاشُدَ الخبثاء وتعاونّهم على المنع من الهدم للسور ، أزْمَع على مباشرةِ ذلك وحضوره ليستدعىَ به جِدَّ أصحابه واجتهادهم ويزيدّ فى عنايتهم ومجاهدتهم ؛ ففعل ذلك واتّصلت الحرب ، وغَلُظت على الفريقين ؛ وكثر القتلى والجراح فى الحزبَيْن كليْهما ، فأقام الموفّق

أياماً يغادي الفسقة ويراوحهم ؛ فكانوا لا يفترُون من الحرب فى يوم من الأيام ، وكان أصحاب أبى أحمد لا يستطيعون الوُلوج على الخَبَثة لقنطرتين كانتا على نهر منكى كان الزّنج يسلكونهما فى وقت استعار الحرب ، فينتهون منهما إلى طريق يخرجهم فى ظهور أصحاب أبى أحمد، فينالون منهم ، ويحجزونهم عن استّمام ما يحاولون من هدم السور، فرأى الموفَّق إعمال الحيلة فى هدم هاتيْن القنطرتين ليمنع الفسقة عن الطَّريق الذى كانوا يصيرون منه إلى استدبار أصحابه فى وقت احتدام الحرب ؛ فأمر قوّاداً من قوّاد غلمانه بقصد هاتين القنطرتين ، وأن يختلوا الزنج ، وينتهزوا الفرصة فى غفلتهم عن حراستهما ؛ وتقدّم إليهم فى أن يُعدُّوا لهما من الفؤوس والمَنَاشير والآلات التى يحتاج إليها لقطعهما ما يكون عوناً لهم على الإسراع فيما يقصدون له من ذلك .

وأمر أصحابه بالقصْد إلى الموضع الذى كان الخبيث اتخذ فيه بناء سماه مسجد الجامع ، فاشتدّت محاماة الفسقة عن ذلك والذبّ عنه ؛ بما كان الخبيث يحضُّهم عليه ، ويُوهمهم أنه يجب عليهم من نُصرة المسجد وتعظيمه ؛ فيصدّقُون قولَه فى ذلك ، ويتبعون فيه رأيه . وصعُب على أصحاب الموفّق ما كانوا يرومون من ذلك ؛ وتطاولت الأيام بالحرب على ذلك الموضع . والذى حصل مع الفاسق يومئذ نخبة أصحابه وأبطالُهم والموَطّنون أنفسهم على الصبر معه ، فحاموا جهدَهم ؛ حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدَهم السهمُ أو الطعنة أو الضربة فيسقط ، فيجذبه

الذى إلى جنْبه ويقف موقفه إشفاقاً من أن يخْلُوَ موقف رجل منهم، فيدخل الخلل على سائر أصحابه .

فلمّا رأى أبو أحمد صبر هذه العصابة ومحاماتها ، وتطاول الأيام بمدافعتها أمر أبا العباس بالقصد لركن البناء الذى سماها الخبيث مسجداً ، وأن يندب لذلك أنجادَ أصحابِه وغلمانه ، وأضاف إليهم الفَعلة الذين كانوا أُعِدّوا للهدم ، فإذا تهيّأ لهم هدمُ شىء أسرعوا فيه ، وأمر بوضع السلاليم على السور فوضعوها ، وصعِد الرماة فجعلوا يرشقون بالسهام من وراء السور من الفَسقة ، ونظم الرجال من حدّ الدار المعرُوفة بالجُبّائىّ إلى الموضع الذى رتّب فيه أبا العباس ، وبذل الموفق الأموال والأطوقة والأسورة لمن سارع إلى هدم سور الفاسق وأسواقِه ودور أصحابه ، فتسهّل ما كان يصعُب بعد محاربة طويلة وشدّة ، فهدم البناء الذى كان الخبيث سماه مسجداً ، ووُصل إلى مِنْبره فاحتُمِل ، فأتِىَ به الموفّق ، وانصرف به إلى مدينته الموفقيّة جذِلاً مسروراً . ثم عاد الموفّق لهدم السور فهدّمه من حدّ الدار المعروفة بأنكلاى إلى الدار المعروفة بالجُبّائىّ . وأفضى أصحاب الموفّق إلى دواوين من دواوين الخبيث وخزائن من خزائنه ؛ فانتُهبت وأحرقت ؛ وكان ذلك فى يوم ذى ضباب شديد ، قد ستر بعضَ الناس عن بعض ؛ فما يكاد الرجل يبصره صاحبُه . فظهر فى هذا اليوم للموفّق تباشير الفتح ، فإنهم لعلَى ذلك ؛ حتى وصل سهمٌ من سهام الفسقة إلى الموفّق ، رماه به غلام رومىّ كان مع الفاسق يقال له قرطاس ، فأصابه فى صدره ، وذلك فى يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الأولى سنة تسع

وستين ومـائتين ، فسـتر الموفّق مـا ناله من ذلك السهم ، وانـصرف إلى المدينة مع الموفقية ، فعُولج فى ليلته تلك من جراحته ، وبات ثم عاد إلى الحـرب على مـا به من ألم الجـراح ، يشـدّ بذلك قلوبَ أوليـائه من أن يدخلها وَهْم أو ضعف ، فزاد ما حَمَل نفسَه عليه من الحَرَكة فى قوة عِلّته، فغلُظت وعظم أمـرُها حتى خـيف عليه ، واحتـاج إلى علاجـه بأعظم ما يعالَج به الجراح ؛ واضطرب لذلك العسكر والجند والرعـية ، وخافوا قرّة الفاسق عليهم ؛ حـتى خرج عن مدينته جمـاعةٌ ممن كان مقيـماً بها ، لما وصل إلى قلوبهم من الرَّهبة ، وحدَثَت فى حال صعوبة العلّة عليه حادثة فى سلطانه ، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى مديـنة السلام ، ويخلّف مَنْ يقـوم مقـامه ، فأبـى ذلك ، وخاف أن يكون فيه إئتلاف ما قد تفرّق من شمـل الخبيث ، فأقام على صعوبة علّته عليه ، وغلظ الأمر الحادث فى سلطانه ؛ فمنّ الله بعـافيته ، وظهر لقوّاده وخاصته ؛ وقد كان أطال الاحتجاب عنهم ، فقويَتْ بذلك مُنّتُهم ، وأقام متـماثلاً مـودْعًا نفسـه إلى شعـبان من هذه السنة ، فلمّا أبلّ وقـوىّ على النهوض لحـرب الفاسق ، تيقظ لذلك ، وعـاود ما كان مـواظبًا عليه من الحرب ، وجـعل الخبيث لمّا صحّ عـنده الخبر عـما أصاب أبا أحـمد يعدُ أصحـابَه العِدات ، ويمنّيهم الأمانىّ الكاذبة ، وجـعل يحلف على منبره - بعد ما اتّصل به الخبر بظهور أبى أحمد وركوبه الشَذَا - أن ذلك باطلٌ لا أصل له ، وأن الذى رأوه فى الشذا مثال مُوِّه لهم وشبِّه لهم .

❁ ❁ ❁

الفصل التاسع

ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان

وفيها أى سنة تسعة وستين ومائتين وجه أيضًا سليمان بن موسى الشعرانىّ - وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق - من يطلب الأمان له من أبى أحمد ، فمنعه أبو أحمد ذلك ، لِمَّا كان سلف منه من العبث وسفك الدماء ، ثم اتصل به أنّ جماعةً من أصحاب الخبيث قد استوحشوا لمنعة ذلك الشعرانىّ ، فأجابه أبو أحمد إلى إعطائه الأمان ؛ استصلاحًا بذلك غيَره من أصحاب الفاسق ، وأر بتوجيه الشَّذَا إلى الموضع الذى واعدهم الشعرانىّ ، ففعل ذلك ، فخرج الشعرانىّ وأخوه وجماعة من قوّاده ، فحملهم فى الشّذا ، وقد كان الخبيث حرسٌ به مؤخّر نهر أبى الخصيب ، فحمله أبو العباس إلى الموفق ، فمنَّ عليه ، ووفّى له بأمانه ، وأمر به فُوصل ووُصل أصحابه ، وخلع عليهم ، وحمل على عدّة أفراس بسروجها وآلتها ، ونزَّله وأصحابه أنزالاً سنية ، وضمه وإياهم إلى أبى العباس ، وجعله فى جملة أصحابه ، وأمره بإظهاره فى الشَّذَا لأصحاب الخائن ليزدادوا ثقةً بأمانه ؛ فلم يبرح الشَّذا من موضعها من نهر أبى الخصيب ، حتّى استأمن جمع كثير من قوّاد الزَّنج وغيرهم ، فحمِلوا إلى أبى أحمد ، فوصلهم وألحقهم فى الخلع والجوائز بمن تقدّمهم .

ولما استأمن الشعرانىّ اختلّ ما كان الخبيث يضبط به من مؤخّر عسكره ، ووّهى أمرُه وضعف ؛ فقلّد الخبيث ما كان إلى العشرانىّ من

حفظ ذلك شبل بن سالم ، وأنزله مؤخّر نهر أبى الخصيب ، فلم يُمسِ الموفّق من اليوم الذى أظهر فيه الشعرانىّ لأصحاب الخبيث حتى وافاه رسولُ شبْل بن سالم يطلب الأمان ، ويسأل أن يوقف شَذَوات عند دار ابن سمعان ؛ ليكون قصدُه فيمن يصحبه من قوّاده ورجاله فى الليل إليها .

فأعطِىَ الأمانَ ، ورُدّ إليه رسوله ، ووُقِفَت له الشَّذا فى الموضع الذى سأل أن توقّف له ؛ فوافاها فى آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قوّاده ورجاله ، وشهَر أصحابه سلاحَهم ؛ وتلقّاهم قوم من الزَّنج قد كان الخبيث وجّههم لمنعه من المصير إلى الشَّذا . وقد كان خبره انتهى إليه ، فحاربهم شبل وأصحابُه ، وقتلوا منهم نفراً ؛ فصاروا إلى الشَّذا سالمين ، فصيِر بهم إلى قصر الموفق بالموفقية ، فوافاه وقد ابتلج الصبح ؛ فأمر الموفق أن يوصَل شبل بصلة جزيلة ، وخلع عليه خلعًا كثيرة ، وحمله على عدّة أفراس بسروجها ولجُمها .

وكان شبل هذا من عُدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوى الغَناء والبلاء فى نُصرته ، ووصل أصحاب شبل ، وخلع عليهم ، وأسنيت له ولهم الأرزاق والأنزال ، وضُموا جميعًا إلى قائد من قوّاد غلمان الموفق ، ووُجّه به وبأصحابه فى الشَّذا ، فوقفوا بحيث يراهم الخبيث وأشياعه . فعظم ذلك على الفاسق وأوليائه ، لِمّا رأوْا من رغبة رؤسائهم فى إغتنام الأمان، وتبين الموفّق من مناصحة شبل وجودة فهمه ما دعاه إلى أن يستكفِيَه بعض الأمور التى يكيد بها الخبيث ؛ فأمره بتبييت عسكر الخبيث فى جمع أمر

بضمّهم إليه من أبطال الزّنج المستأمنة ، وأفرده وإيّاهم بما أمرهم به من البيات ؛ لعلمهم بالمسالك فى عسكر الخبيث .

فنفذ شبل لمّا أمِر به ، فقصد موضعًا كان عرفه ، فكبسه فى السَّحَر ، فوافَى به جمعًا كثيفًا من الزّنج فى عدّة من قُوّادهم وحماتهم ، قد كان الخبيث رتّبهم فى الدفع عن الدار المعروفة بأبى عيسى ، وهى منزل الخبيث حينئذ ، فأوقع بهم وهم غارّون ، فقتَل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر جمعًا من قوّاد الزّنج ، وأخذ لهم سلاحًا كثيراً ، وانصرف ومَنْ كان معه سالمين، فأتى بهم الموفّق ، فأحسن جائزتهم ، وخلع عليهم ، وسوّر جماعة منهم .

ولما أوقع أصحاب شبل بأصحاب الخائن هذه الوقعة ذعرهم ذلك ذُعْرًا شديداً ، وأخافهم ومنعهم النوم ؛ فكانوا يتحارسون فى كلّ ليلة ، ولا تزال النَّفْرة تقع فى عسكرهم لما استشعروا من الخوف ، ووصل إلى قلوبهم من الوَحشة ؛ حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يُسمَع بالموفقيّة .

ثم أقام الموفق بعد ذلك ينفذ السرايا إلى الخبثة ليلاً ونهاراً من جانبى نهر أبى الخصيب ، ويكدّهم بالحرب ، ويُسْهر ليلهم ، ويحول بينهم وبين طلب أقواتهم ، وأصحابه فى ذلك يتعرّفون المسالك . ويتدرّبون بالوغول فى مدينة الخبيث وتقحّمها ، ويصرّون من ذلك على ما كانت الهيبة تحولُ بينهم وبينه ؛ حتى إذا ظنّ الموفق أن قد بلغ أصحابه ما كانوا

يحتاجون إليه ، صحّ عزمه على العبور إلى محاربة الفاسق فى الجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب . فجلس مجلسًا عامًّا ، وأمر بإحضار قوّاد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجّالتهم من الزنّج والبيضان ، فأدخِلُوا إليه ، ووقفوا بحيث يسمعون كلامه . ثم خاطبهم فعرّفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وإنتهاك المحارم ، وما كان الفاسق ديّنَ لهم من معاصى الله ، وأن ذلك قد كان أباح له دماءهم ، وأنه قد غفر الزلّة ، وعفا عن الهفوة ، وبذل الأمان ، وعاد على مَنْ لجأ إليه بفضله ، فأجزل الصّلات ، وأسنى الأرزاق ، وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة ؛ وأن ما كان منه من ذلك يُوجب عليهم حقه وطاعته ، وأنهم لن يأتوا شيئاً يتعرّضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم ؛ أوْلى بهم من الجدّ والاجتهاد فى مجاهدة عدوّ الله الخائن وأصحابه ، وأنهم من الخبرة بمسالك عسكر الخبيث ومضايق طرق مدينته والمعاقل التى أعدّها للهرب إليها على ما ليس عليه غيرهم ؛ فهم أحرياء أن يُمْحضُوه نصيحتهم ، ويجتهدوا فى الوُلوج على الخبيث ، والتوغّل إليه فى حصونه ، حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه ، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد . وإن مَنْ قصّر منهم استدعى من سلطانه إسقاطَ حاله وتصغير منزلته ، ووضع مرتبته . فارتفعت أصواتُهم جميعًا بالدّعاء للموفق والإقرار بإحسانه ، وبما هم عليه من صحة الضمائر فى السمع والطاعة والجدّ فى مجاهدة عدوّه ، وبذل دمائهم ومُهجهم فى كلّ ما يقر بهم منه ، وأن ما دعاهم إليه قد قوّى نيّتهم ، ودلّهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم محلّ أوليائه ، وسألوه أن

يُفردهم بناحية يحاربون فيها ، فيظهر من حسن نيّاتهم ونكايتهم فى العدوّ ما يعرف به إخلاصَهم وتورّعهم عما كانوا على من جهلهم ، فأجابهم الموفق إلى ما سألوا ، وعرّفهم حُسن موقع ما ظهر له من طاعتهم، وخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد .

وفى ذى القعدة من هذه السنة دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرقىّ من نهر أبى الخصيب ، فخرّب داره ، وانتهب ما كان فيها .

❁ ❁ ❁

الفصل العاشر

ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسر من معه

ثم دخلت سنة سبعين ومائتين .

وفى صفر منها قتل الفاجر ، وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانىّ واستريح من أسباب الفاسق .

ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين :

قد ذكرنا قبل أمر السكّر الذى كان الخبيث أحدثه ، وما كان من أمر أبى أحمد وأصحابه فى ذلك . ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحًا على الحرب على ذلك السكّر حتى تهيّأ له فيه ما أحبّ ، وسهل المدخل للشّذا فى نهر الخصيب فى المدّ والجزر ، وسهل لأبى أحمد فى موضعه الذى كان مقيماً فيه كل ما أراده من رُخْص الأسعار وتتابع المَير وحَمْل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس فى جهاد الخبيث ومَنْ معه من أشياعه ، فكان ممّن صار إليه من المطوّعة أحمد بن دينار عامل إيزَج ونواحيها من كوُر الأهواز فى جمع كثير من الفرسان والرّجّالة ؛ فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قُتل الخبيث . ثم قدم بعده من أهل البحرين - فيما ذكر - خلق كثير ، زُهاء ألفى رجل ، يقودهم رجل من عبد القيس ، فجلس لهم أبو أحمد ، ودخل إليه رئيسهم ووجوهم ؛ فأمر أن يُخلع عليهم ؛ واعترض رجالهم أجمعين ، وأمر فإقامة الأنزال لهم ، وورد

بعدهم زهاء ألف رجل من كُور فارس ، يرأسهم شيخ من المطوّعة يكنى أبا سلمة ، فجلس لهم الموفّق ، فوصل إليه هذا الشيْخ ووجوه أصحابه ، فأمر لهم بالخِلع ، وأقرّ لهم الأنزال ، ثم تتابعت المطوّعة من البلدان ؛ فلما تيسر له ما أراد من السُّكْر الذى ذكرنا ، عزم لقاء الخبيث ، فأمر بإعداد السفن والمعابر وإصلاح آلة الحرب فى الماء وعلى الظَّهْر ، واختار مَنْ يثق ببأسه ونجدته فى الحرب فارسًا وراجلاً ؛ لضيق المواضع التى كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها ؛ فكانت عِدّة مَنْ تخيّر من الفرسان زُهاء ألفى فارس ، ومن الرَّجالة خمسين ألفًا أو يزيدون ، سوى مَنْ عبر من المطوّعة وأهل العسكر ، ممّن لا ديوان له ، وخلّف بالموفقيّة من لم يتسع السفن يحمله جمًّا كثيراً أكثرهم من الفرسان .

وتقدّم الموفّق إلى أبى العباس فى القصد للموضع الذى كان صار إليه فى يوم الثلاثاء لعشر خلوْن من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين من الجانب الشرقىّ بإزاء دار المهلبىّ فى أصحابه وغلمانه ومَنْ ضمّهم إليه من الخيل والرجّالة والشَّذا . وأمر صاعد بن مخلَد بالخروج على النهر المعروف بأبى شاكر فى الجانب الشرقىّ أيضًا ، ونظم القوّاد من مواليه وغلمانه من فُوّهة نهر أبى الخصيب إلى نهر الغربىّ . وكان فيمن خرج من حدّ دار الكرنبائىّ إلى نهر أبى شاكر راشد ولؤلؤ ، موليَا الموفق ، فى جمع من الفرسان والرّجالة زُهاء عشرين ألفًا ، يتلو بعضُهم بعضًا ، ومن نهر أبى شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قوّاد الموالى والغلمان ، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربىّ مثل ذلك . وأمر شبلاً

أن يقصد فى أصحابه ومَن ضُمّ إليه إلى نهر الغربىّ ، فيأتى منه مؤازياً لظهر دار المهلبىّ ، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب ، وأمر الناس أن يزحفوا بجميعهم إلى الفاسق ؛ لا يتقدّم بعضهم بعضاً ؛ وجعل لهم أمارة الزَّحْف ؛ تحريك علم أسود أمر بنصبه على دار الكرنبائى بفُوّهة نهر أبى الخصيب فى موضع منها مشيد عالٍ ، وأن ينفخ لهم ببوق بعيد الصوت ، وكان عبوره يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من المحرّم سنة سبعين ومائتين ، فجعل بعض مَن كان على النهر المعروف بجوى كور يَزْحف قبل ظهور العلامة ؛ حتى قرب من دار المهلبىّ ، فلقيه وأصحابه الزَّنج فردوهُم إلى مواضعهم ، وقَتَلُوا منهم جمعًا ، ولم يشعر سائر الناس بما حدَث على هؤلاء المتسرْعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض .

فلمّا خرج القوّاد ورجالهم من المواضع التى أمِرُوا بالخروج منها ، واستوى الفرسان والرجّالة فى أماكنهم ، أمر الموفّق بتحريك العلَم والنفخ فى البوق ، ودخل النهر فى الشّذَا ، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضًا ، فلقيّهم الزّنج قد حشدوا وجمّوا واجترءوا بما تهيأ لهم على من كل تسرّع إليهم ، فلقيهم الجيش بنيّات صادقة وبصائر نافذة ، فأزالوهم عن مواضعهم بعد كرّات كانت بين الفريقين ، صُرِع فيها منهم جمع كثير . وصبر أصحاب أبى أحمد ، فمنّ الله عليهم بالنّصر ، ومنحهم أكتاف الفسقة ، فولّوْا منهزمين ، وأتبعهم أصحاب الموفق ، يقتلون ويأسرون . وأحاط أصحاب أبى أحمد بالفجرة من كلّ موضع ، فقتل الله منهم فى

ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء ، وغرق منهم فى النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك ، وحوى أصحاب الموفّق مدينةَ الفاسق بأسرها ، واستنقذوا مَنْ كان فيها من الأسرى من الرجال والنساء والصبيان ، وظفروا بجميع عيال علىّ بن أبان المهلبىّ وأخويه الخليل ومحمد ابنى أبان وسليمان بن جامع وأولادهم ، وعبر بهم إلى المدينة الموفقيّة . ومضى الفاسق فى أصحابه ومعه المهلبىّ وابنه أنكلاى وسليمان بن جامع وقوّاد من الزّنج وغيرهم هُرَّابًا ، عامدين لموضع قد كان الخبيث رآه لنفسه ومَنْ معه ملجأ إذا غُلبوا على مدينته ؛ وذلك على النهر المعروف بالسفيانىّ .

وكان أصحاب أبى أحمد حين انهزم الخبيث ، وظفروا بما ظفروا به ، أقاموا عند دار المهلبىّ الواغلة فى نهر أبى الخصيب ، وتشاغلوا بإنتهاب ما كان فى الدار وإحراقها وما يليها ، وتفرّقوا فى طلب النهب ؛ وكُلّ مَا بقىَ للفاسق . وأصحابه مجموعًا فى تلك الدار .

وتقدم أبو أحمد فى الشّذا قاصداً للنهر المعروف بالسفيانىّ ، ومعه لؤلؤ فى أصحابه الفرسان والرجالة ، فانقطع عن باقى الجيش ، فظنُّوا أنه قد انصرف ، فانصرفوا إلى سفنهم بما حَوْوا ، وانتهى الموفّق فيمن معه إلى معسكر الفاسق وأصحابه وهم منهزمون ؛ فأتبعهم لؤلؤ وأصحابُه حتى عبروا النهر المعروف بالسفيانىّ ، فاقتحم لؤلؤ النهر بفرسه ، وعَبَر أصحابه خَلْفه ، ومضى الفاسق حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقريرىّ ، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابُه ، فأوقعوا به وبِمَنْ معه ، فكشفوهم ، فولَّوْا

هاربين وهم يتبعونهم ، حتى عَبَرُوا النهر المعروف بالقريرىّ ، وعبر لؤلؤ وأصحابه خلفهم وألجئوهم إلى النهر المعروف بالمساوان ، فعبروه واعتصموا بجبل وراءه .

وكان لؤلؤ وأصحابه الذين انفردوا بهذا الفعل دون سائر الجيش ، فانتهى بهم الجدّ فى طلب الفاسق وأشياعه إلى هذا الموضع الذى وصفنا فى آخر النهار ، فأمره الموفّق بالإنصراف محمود الفعل ، فحمله الموفّق معه فى الشَّذا ، وجدّد له من البرّ والكرامة ورفع المرتبة ، لما كان منه فى أمر الفسقة حسب ما كان منتحقًّا . ورجَع الموفق فى الشَّذَا فى نهر أبى الخصيب وأصحاب لؤلؤ يسايرونه . فلما حاذى دار المهلبىّ ، لم ير بها أحدًا من أصحابه ، فعلم أنهم قد انصرفوا ، فاشتدّ غيظه عليهم ، وسار قاصدًا لقصره ، وأمر لؤلؤ بالمضىّ بأصحابه إلى عسكره ، وأيقن بالفتح لما رأى من أمارته ، واستبشر الناس جميعًا بما هيأ الله من هزيمة الفاسق وأصحابه وإخراجهم عن مدينتهم ، واستباحة كلّ ما كان لهم من مال وذخيرة وسلاح ، واستنفاذ جميع من كان فى أيديهم من الأسرى . وكان فى نفس أبى أحمد على أصحابه من الغيظ لمخالفتهم أمره ، وتركهم الوقوف حيث وقفهم ، فأمر بجمع قوّاد مواليه وغلمانه ووجوههم ؛ فجُمعوا له ، فوبّخهم على ما كان منهم وعَجّزهم ، وأغلظ لهم ، فاعتذروا بما توهّموا من انصرافه ، وأنهم لم يعلموا بمسيره إلى الفاسق وإنتهائه إلى حيث انتهى من عسكره ؛ وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه ، ولم يبرحوا موضعهم حتى تحالفوا وتعاقدوا على ألاّ ينصرف منهم

أحد إذا توجهوا نحو الخبيث حتى يظفهرهم الله به ؛ فإن أعياهم ذلك أقاموا بمواضعهم حتى يحكم الله بينهم وبينه . وسألوا الموفق أن يأمر بردّ السفن التى يعبرون فيها إلى الموفقيّة عند خروجهم منها للحرب ، لتنقطع أطماع الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك ، فجزاهم أبو أحمد الخير على تنصّلهم من خطئهم ، ووعدهم الإحسان ، وأمرهم بالتأهّب للعبور ، وأن يعظوا أصحابهم بمثل الذى وُعِظوا به . وأقام الموفق بعد ذلك يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لإصلاح ما يحتاج إليه؛ فلما كَمَل ذلك تقدّم إلى من يثِق إليه من خاصّته وقُوّاد غلمانه ومواليه ، بما يكون عليه عملُهم فى وقت عبورهم .

وفى عشىّ يوم الجمعة ، تقدّم إلى أبى العباس وقوّاد غلمانه ومواليه بالنهوض إلى مواضع سمّاها لهم ؛ فأمر أبا العباس بالقصد فى أصحابه إلى الموضع المعروف بعسكر ريحان ، وهو بين النهر المعروف بالسفيانىّ والموضع الذى لجأ إليه ، وأن يكون سلوكه بجيشه فى النهر المعروف بنهر المغيرة ؛ حتى يخرج بهم فى معترَض نهر أبى الخصيب ، فيوافى بهم عسكرّ ريحان من ذلك الوجه ، وأنفذ قائداً من قوّاد غلمانه السودان ، وأمره أن يصير إلى نهر الأمير فيعترض فى المَنصف منه ، وأمر سائر قواده وغلمانه بالمبيت فى الجانب الشرقىّ من دِجْلة بإزاد عسكر الفاسق متأهبين للغدوّ على محاربته . وجعل الموفق يطوف فى الشَّذَا علي القُوّاد ورجالهم فى عشىّ يوم الجمعة وليلة السبت ، ويفرّقهم فى مراكزهم والمواضع التى رتَّبهم فيها من عسكر الفاسق ، ليباكروا المصير إليها على ما رسم لهم .

وغدا الموفّق يوم السبت لليلتين خَلَتا من صـفر سنة سبعين ومائتين ، فوافى نهـر أبى الخصيب فى الشـذا ، فأقام بـها حتى تكامل عـبورُ الناس وخروجهم عن سفنهم ، وأخذ الفرسان والرجّالة مراكزّهـم ، وأمر بالسفن والمعابر فُردّت إلى الجانب الشرقىّ ، وأذن للناس فى الزّحف إلى الفاسق، وسار يقـدمهم حتى وافى الموضع الذى قـدّر أن يثبُت الفسـقة فيه لمدافـعة الجيش عنهم .

وقد كان الخائـن وأصحابه لخبثهم رجـعوا إلى المدينة يوم الاثنين بعد انصـراف الجيش عنهـا ، وأقامـوا بهـا ، وأمّلوا أن تتطاول بهم الأيام ، وتندفع عنهم المناجزة ، فوجد الموفّق المتسرعين من فرسان غلمانه ورجّالتهم قد سبقوا أعظم الجيش ، فأوقعـوا بالفاجر وأصحابه وقعةً أزالوهم بها عن مواقفهم ؛ فانهزموا وتفرّقُوا لا يلوى بعضهم على بعض ، وأتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون مَنْ لحـقوا منهم ، وانقطع الفاسق فى جمـاعة من حُماته من قُوّاد الجيش ورجالهم ، وفيهم المهلبىّ .

وفارقه ابنه أنكلاى سليمان بن جـامع ، فقصد لكل فريق ممّن سمّينا جمع كثـيف من موالى الموفق وغلمانه الفـرسان والرّجَالة ، ولَقِىَ مَنْ كان رتبه الموفق من أصـحاب أبى العبـاس فى الموضع المعروف بعـسكر ريحان المنهزمين من أصـحاب الفاجـر ، فوضعـوا فيهم السـلاح . ووافى القائد المرتب فى نهر الأمير ، فاعترض الفـجرة ، فأوقع بهم . وصادف سليمان بن جامع فحاربه ، فقتل جماعة من حُماته ، فظفر بسليمان فأسره ، فأتى به الموفق بغيـر عهد ولا عـقد ، فاسـتبشـر الناس بأسر سليـمان ، وكَثُر

التكبير والضجيج ، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غَناء عنه . وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمدانيّ - وكان أحد أمراء جيوشه - وأسر نادر الأسود المعروف الحفار ، وهو أحد قدماء أصحاب الفاجر - فأمر الموفّق بالاستيثاق منهم وتصييرهم فى شذاة لأبى العباس . ففُعل ذلك .

ثم إن الزّنج الذين انفردوا مع الفاسق عطفوا على الناس عطفة أزالوهم بها عن مواقفهم ، ففتروا لذلك ، وأحسّ الموفّق بفتورهم ، فجدّ فى طلب الخبيث ، وأمعن فى نهر أبى الخصيب ، فشدّ ذلك من قلوب مواليه وغلمانه ، وجدُّوا فى الطلب معه .

وانتهى الموفّق إلى نهر أبى الخصيب ، فوافاه البشير بقتل الفاجر ، ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كفّ زعم أنها كفه ، فقوىّ الخبر عنده بعض القُوّة . ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركُض على فرس ، ومعه رأس الخبيث ، فأدناه منه ، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قوّاد المستأمنة ، فعرَفوه . فخرّ لله ساجدًا على ما أولاه وأبلاه ، وسجد أبو العباس وقُوّاد موالى الموفق وغلمانه شكرًا لله ، وأكثروا حمد الله والثناء عليه ، وأمر الموفَّق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه ، فتأمَّله الناس وعرفوا صِحة الخبر بقتله ، فارتفعت أصواتهم بالحمد لله .

وذكر أن أصحاب الموفق لما أحاطوا بالخبيث ، ولم يبقَ معه من رؤساء أصحابه إلا المهلبىّ ، ولّى عنه هاربًا وأسلمه . وقصد النهر المعروف بنهر الأمير ، فقذف نفسه فيه يريد النجاة ، وقبل ذلك ما كان

ابن الخبيث أنكلاى فارق أباه ، ومضى يؤمّ النهر المعروف بالدينارىّ ، فأقام فيه متحصنًا بالأدغال والآجام ، وانصرف الموفق ورأس الخبيث منصوب بين يديه على قناة فى شَذاة ، يخترق بها نهر أبى الخصيب ، والناس فى جنبتى النهر ينظرون إليه حتى وافى دِجْلة ، فخرج إليها فأمر بردّ السفن التى كان عبر بها فى أول النهار إلى الجانب الشرقى من دِجْلة ، فرُدّت ليعبر الناس فيها .

ثم سار ورأسُ الخبيث بين يديه على القناة ، وسليمان بن جامع والهمدانىّ مصلوبان فى الشَّذا ، حتى وافى قصرَه بالموفقيَّة . وأمَر أبا العباس بركوب الشذا وإقرار الرأس وسليمان والهمدانىّ على حالهم والسير بهم إلى نهر جَطَّى ، وهو أوّل عسكر الموفق ، ليقع عليهم عيون الناس جميعًا فى العسكر ، ففعل ذلك وانصرف إلى أبيه أبى أحمد . فأمر بحبس سليمان والهمدانىّ وإصلاح الرأس وتنقيته .

وذكر أنه تتابع مجىء الزَّنج الذين كانوا أقاموا مع الخبيث وآثروا صحبته ، فوافىَ ذلك اليوم زُهاء ألف منهم ، ورأى الموفق بذل الأمان ، لما رأى من كثرتهم وشجاعتهم ، لئلا تبقى منهم بقية تُخاف معرّتها على الإسلام وأهله ، فكان من وافَى من قُوّاد الزّنج ورجالهم فى بقية يوم السبت وفى يوم الأحد والاثنين زُهاء خمسة آلاف زنجىّ ، وكان قد قُتِل فى الوقعة وغرق وأسِر منهم خَلْقٌ كثير لا يوقَف على عددهم ، وانقطعت منهم قطعة زهاء ألف زِنجىّ مالوا نحو البرّ . فمات أكثرهم عطشًا ، فظفر الأعراب بمَنْ سلم منهم واسترقّوهم .

وانتهى إلى الموفَّق خبر المهلبىّ وأنكلاى ومقامهما بحيث أقاما مع مَنْ تبعهما من جِلَّة قُوّاد الزَّنْج ورجالهم ، فبث أنجاد غلمانه فى طلبهم ، وأمرهم بالتضييق عليهم ، فلما أيقنوا بأن لا ملجأ لهم أعْطَوْا بأيديهم ، فظفر بهم الموفَّق وبمَنْ معهم . حتى لم يشذَّ أحد . وقد كانوا على نحو العِدَّة التى خرجت إلى الموفق بعد قتل الفاجر فى الأمان ، فأمر الموفق بالاستيثاق من المهلبّى وأنكلاى وحبسهما ، ففعل .

* * *

وكان فيمن هرب من عسكر الخبيث يوم السبت ولم يركن إلى الأمان قرطاس الذى كان رمى الموفق بالسهم . فانتهى به الهرب إلى رامَهُرْمز . فعرفه رجل قد كان رآه فى عسكر الخبيث فدلّ عليه عامل البلد . فأخذه وحمله فى وَثاق . فسأل أبو العباس أباه أن يوليه قتلَه فدفعه إليه فقتله .

* * *

ذكر خبر استئمان درمويه الزنجىّ إلى أبى أحمد

وفيها استأمن درمويه الزنجىّ إلى أبى أحمد ، وكان درمويه هذا – فيما ذكر – من أنجاد الزَّنْج وأبطالهم ، وكان الفاجر وجهَّه قبل هلاكه بمدة طويلة إلى أواخر نهر الفَهْرَج ، وهى من البصرة فى غربىّ دجلة . فأقام هنالك بموضع وَعْر كثير النخل والدَّغل والآجام متصل بالبَطِيحة . وكان درمويه ومَن معه هنالك يقطعون على السابلة فى زواريق خِفاف وسُميريَّات

اتَّخذوها لأنفسهم . فإذا طلبهم أصحاب الشَّذا وجوا الأنهار الضيِّقة . واعتصموا بمواضع الأدغال منها ، وإذا تعذّر عليهم مسلك نَهر منها لضيقها خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم ، ولجئوا إلى هذه المواضع الممتنعة .

وفي خلال ذلك يُغيرون على قرى البَطِيحة وما يليها . فيقتلون ويسلبون مَنْ ظفروا به ؛ فمكث درمويه ومَنْ معه يفعلون هذه الأفعال إلى أن قتِل الفاجر وهم بموضعهم الذى وصفنا أمره ، لا يعملون بشيء مما حدث على صاحبهم . فلما فُتح بقتل الخبيث موضعه ، وأمن الناس وانتشروا فى طلب المكاسب وحمل التجارات ، وسلكت السابلة دِجْلة ، أوقع درمويه بهم ، فقتل وسلب ، فأوحش الناس ذلك ، واشرأبّ لمثل ما فيه درمويه جماعة من شرار الناس وفُسَّاقهم ، وحدّثوا أنفسهم بالمصير إليه وبالمقام معه على مثل ما هو عليه ، فعزم الموفق على تسريح جيش من غلمانه السودان ومَنْ جرى مجراهم من أهل البَصَر بالحرب فى الأدغال ومضايق الأنهار ، وأعدّ لذلك صغار السفن وصنوف السلاح ؛ فبينا هو فى ذلك وافى رسول لدرمويه يسأل الأمان له على نفسه وأصحابه ، فرأى الموفق أن يؤمّنه ليقطع مادّة الشرّ الذى كان فيه الناس من الفاجر وأشياعه .

وذُكر أن سبب طلب درمويه الأمان كان أنه كان فيمن أوْقع به قومٌ ممن خرج من عسكر الموفق للقصد إلى منازلهم بمدينة السلام، فيهم نسوة، فقتلهم وسلبهم ، وغلب على النسوة اللاتى كنّ معهم ؛ فلما صِرْنَ فى

يده بحثّ عن الخبر ، فأخبرنه بقتل الفاسق والظفر بالمهلبيّ وأنكلاى وسليمان ابن جامع وغيرهم من رؤساء أصحاب الفاسق وقوّاده ومصير أكثرهم إلى الموفق فى الأمان وقبوله إياهم وإحسانه إليهم ؛ فأسقط فى يده ، ولم ير لنفسه ملجأ إلاّ العوّذ بالأمان ومسألة الموفق الصفح عن جُرْمه ، فوجَّه فى ذلك ، فأجيب إليه . فلما ورد عليه الأمان خرج وجميع من معه حتى وافى عسكر الموفق ، فوافت منهم قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصبها بؤس الحصار وضرّه مثل ما أصاب سائر أصحاب الخبيث، لما كان يصل إليهم من أموال الناس وميرهم .

فذكر أن درمويه لما أومن وأحسن إليه وإلى أصحابه ، أظهر كلّ ما كان فى يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم ، وردّ كلّ شيء منه إلى أهله ردًا ظاهرًا مكشوفًا ، فووفق بذلك على إنابته ، فخلع عليه وعلى وجوه أصحابه وقُوّاده ، ووصّلوا ، فضمهم الموفق إلى قائد من قُوّاد غلمانه، وأمر الموفّق أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء فى أهل البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزّنج بقتل الفاسق ، وأن يُؤمَروا بالرجوع إلى أوطانهم . ففُعل ذلك ، فسارع الناس إلى ما أمِرُوا به ، وقدموا المدينة الموفقيّة من جميع النواحي .

وأقام الموفّق بعد ذلك بالموفقيّة ليزداد الناس بمقامه أمناً وإيناساً ، وولىّ البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة رجلاً من قُوّاد مواليه قد كان حمِد مذهبه، ووقف على حسن سيرته ، يقال له العباس بن تركس ؛ فأمره بالإنتقال إلى البصرة والمقام بها .

وولّى قضاء البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة وواسط محمد بن حماد .

وقدّم ابنه أبا العباس إلى مدينة السلام ، ومعه رأس الخبيث صاحب الزّنْج ليراه الناس ، فاستبشروا ، فنفذ أبو العباس فى جيشه حتى وافى مدينة السلام يوم السبت لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة، فدخلها فى أحسن زىّ ، وأمر برأس الخبيث فسِير به بين يديه على قناة ، واجتمع الناس لذلك .

وكان خروج صاحب الزنج فى يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتِل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين ، فكانت أيّامه من لدن خرج إلى اليوم الذى قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين .

❁ ❁ ❁

المختار من تاريخ الطبري

رقم الإيداع

I.S.B.N ٩٨/١٠٦٨٧

977-01-5871-2



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضيء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن
التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مائة وخمسون قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب